

في جزيرة السلام

بقلم

مريم توفيق



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : **كلمات في جزيرة السلام**

المؤلف : مريم توفيق

رقم الإيداع : ١٣٩١٠ / ٢٠١٧

الترقيم الدولي: ٩ / ٠٠٩ / ٨٣٤ / ٩٧٧ / ٩٧٨

الطبعة الأولى ٢٠١٧



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

الإهداء

يا إمام السلام..

ستظلُ خلاصةُ جهدك فى الدنيا ، تُهدى لأجيال الشباب ضياء.

ويظل علمك وعطاؤك أملا ليرجعَ الناسُ أمةً شمّاء

فالحبُ أصلٌ عندك والتسامحُ منهجٌ وضَّاء ، ولمصر فى كل القلوب ولاء

فمنها سرى هدى العلوم، وفيها سما سحرُ الفنون

وبها نمت عبر القرونِ أديانُ كل الأنبياء

دامت حياتُك نعمةً موفورةً للعالمين ورحمةً ورضاءَ

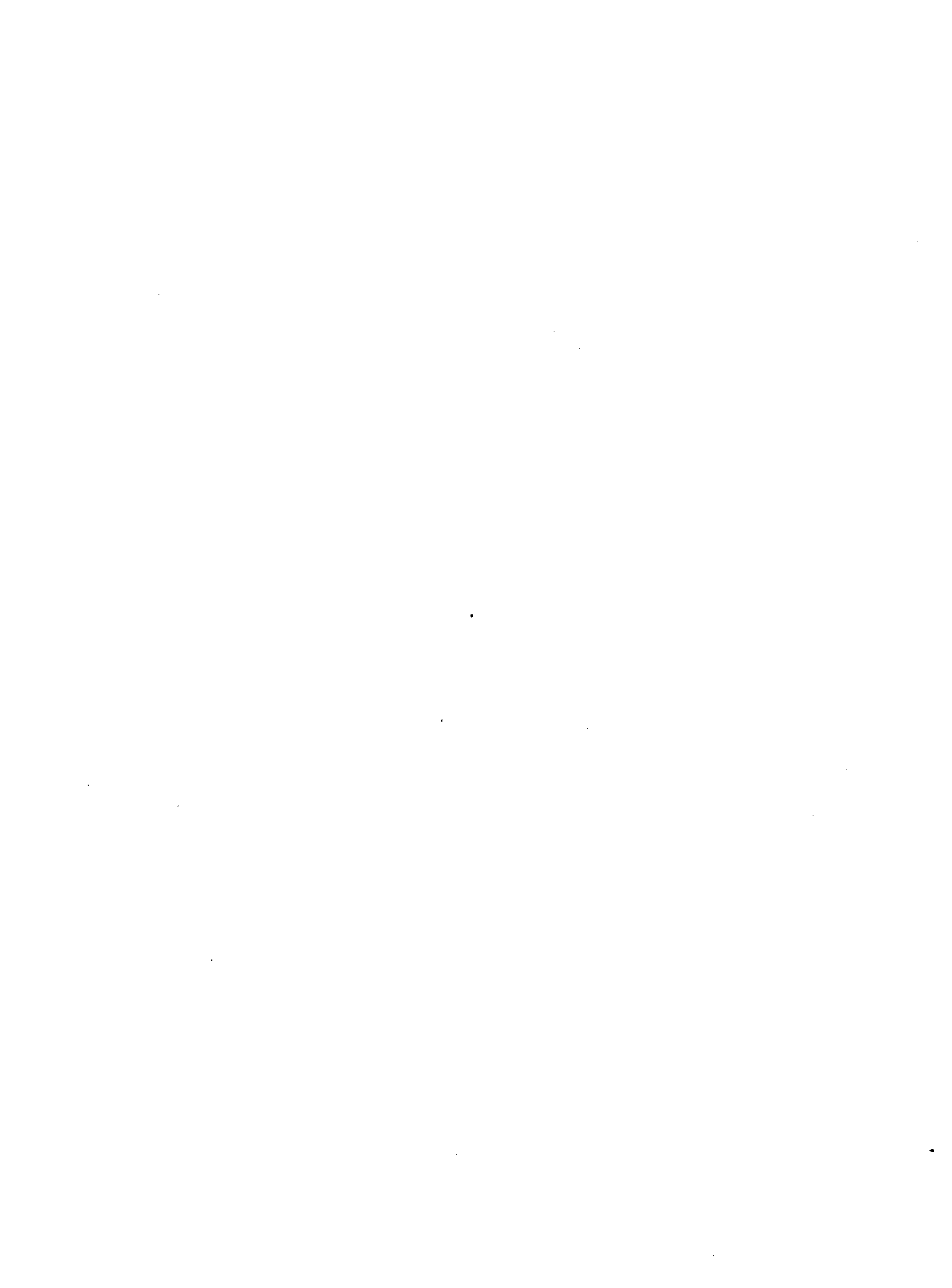
وليرفعَ الشّادون فى محرابنا شهدَ الدعاءِ عذوبةً وصفاء.

مريم





مابين الكلمات



رحلتى عبر هذا الكتاب دفقات نبض يمور بها عقلى، فأنسى بها الآلام، وتعانق الأمواج، تنشد الأمان عندما تبهج زهور النرجس شريان الفؤاد من وادٍ لواد.

فى البدء كانت لحظة النقاء، نظرة الصفاء، ثم دخلتُ ساحة الضياء، فوجدتُ اللآلئ الفريدة، وخضرة الربا فى ابتهاج بالغيوم، وخلفها الزهر يناغم الهدير

وفى بحيرة الإلهام رأيت الكون كل الكون يستعذب الحياة، فعزفت أحلى الكلمات والشعر حياة وخلود، ثم تنداح خواطرى بالرحمة على سفين الأيام، أيقظنى الحنين لأروقة (طيبة)، والشوق يجتاحنى للغناء والطرب.

السعادة ليست فى كل ما سطرته حتى ولو كان مشرقا ونيرا، ولكن كل السعادة حين امتدت خطاه أثناء مرور طيفه ، فكم تمنيت أن تكون لى عين زرقاء اليمامة كى أراه من بعيد، ممتطيا صهوة الفكر، يعلو بالبيان، فيصنع الطيب السلام .

هذه لوحة حان الوقت لأن أرسمها مع صوت الفجر، زهرة الميلاد على الجبين ألف شمس، مائدة عامرة بشهيِّ الطعام ، أغترف الشهد ، قهوة الصبح المستطاب أتت بعد غياب ، زورق وأوراق حبلى بالآتى الجميل ، والقلب طفل فى سماء الحنين يختال فوق

جدائل الأسوار

إنى أمشي فى ظلك آخذ من يديك العبير، أزرع الحقول جنات، وأنتشى بك جسرا إلى الجدول الصافى، تمـر علىّ الأعيـاد بأعـذب موجات الألحان، وإذا حل الشتاء فيغادرنى السأم والأرق.

أمشي إلى حيث الشراع يسعى للشط الآمن، أتوق إلى الوداد، فى كل اللوحات أرسم المجداف، وكأنه المأوى فى كل الأحيان، حقـا إنها لحظة العرفان.



من أجل هذا



حين تخط يمينى الحرف من كنوز الحب بالفرح أهتف: يـانبع إشراق ونور، يا بحرا من شعر صـاف، يابسـمة الأزهـار وأسـراب الحمام وهي تمتد فى سماء بلادى، وحين نعرج على شـجرة الظـل يأتينا النسيم يطوف على الـروح بأجنحـة الجمـال وروعـة البريـق، ففضيلة الإمام الأكبر كالنيل، كالواحة الحنون، سنابل خيـر بأوديـة الربيع، والأماسى على الضفاف نعيم، يازهر التسامح والقبـول، يـا كنزًا نادر الوجود. منك الروابى الخضر والزهر الرطيب.

من أجل هذا جئت إليه، وجلست على مقربة منه، فأترعت ينابيع الحسن زهرا رائع اللون، تلمست العطف والود، ينساب رقراقا كأن أنهار الدنيا تجرى بين ذراعيه، يا لحنـا مـن السـعادة أعـذب، ظـل وألوان وصور، رحيق يفيض بالخصب المعطر.

وحين همست للنسيم: ألا أيها النسيم أخبرنى من يكـون الـذي يفترش مساحات القلوب ربيعا؟ وفراشة تداعب الياسمين وتنهـل من الريحان، عن روح ذابت فى رحم الزمن فازداد العالم رونقا، عن قلب يفيض بحب الإنسان لأخيه الإنسان.

قال النسيم: فضيلة الإمام نقى الوجدان، خير الرجال ترعرعت بحسن خلقه الأفنان، عبقا ورديًا نادرا سكن الفؤاد والآذان، نادرا ما نجد مثله بطيب الود وحسن البيان، من أغلى الكنوز، وزينة في الدنيا

وداعية يقين وإيمان، منه ننتظر جيلًا طيبًا ونرقب رفعة الأوطان.

نهنىء به الدنيا والماء والشجر وكل البشر، يا إمامًا اختاره الرحمن.

يا شراع المجد وفخر الوطن، سليل أهل المحبة، يامنارة المعرفة، أثمرت جهودك وعلمك شاع، عبقرى فذ تتحلى بالوداعة، يابحر الطيبة والوفاء أنت فى اتساعه، نشهد أنا ماكتبنا إلا الحقيقة.

يا إمام المسلمين.. يا نجمة فى سماء الكون كل يوم تزداد بريقا فتشع أنت وتلمع.

يا حضارة وثقافة وشتى ضروب المعرفة، حتى غدوت للعالم شمسا يقتبس منها الضياء ونهج يتبع، فصار اسمك علما عند ذكره، يعلو دومًا قدرك ويرتفع، أمانينا بطول العمر.



البدر يُضِيء ليل الوادي



على ضفاف النهر دعوت الله أن يزيده من حب الناس، فهو للكون شجرة عزيزة مدت غصونا وظلالا فحلقت حوله الأنجمُ، الهلال والخصب المعطر، والبحر والنورس الفضي كذلك، والشاي والكتاب، وتلك قرنفلة بلون قلبه الأبيض.

اسمه من ذهب، تاج القلوب، من وهج الحروف صنع أدبا وعلما، يجوب مصر وعلى محياه أفق من الفردوس، قنديل يضيء الدروب فنرسو على شطه الآمن، حيث الأصداف واللآلئ والقصيد، نعدو وراية البلاد فوق الرؤوس

نردد لحنا لبلادى، والصفصافة تفرش ظلها المنقوش يانيل، على حافة النهر ألحان ناى وكون يغنى، سرب طيور وعطور، يزن الكلام دون غضب أو عبوس، رفيق الموانئ البعيدة والشموس، هاهو «بيت العائلة» خير دليل على أن الخريف لن يطول.

سيعود للقوافى بهاء الربيع، ليكتب التاريخُ صحائفَ؛ لعاشق الضفاف، حيث يرسو الزورق بعيدا عن الرياح الهوجاء، نقشت اسمه على كف الليالى قبسا من نور، فما هو إلا غرس أصيل، وعند الحصاد يخضر فى الأهداب، ينفض عنا غبار الهموم

فى معيته يحلو الشدو ويغمرنا عبير الزهور، نلوذ به فهو الصادق

فى الزمن المتقلب، هو الوطن، المعنى والجذور، كالصبح، كابتسامة الينبوع، وبين دوائر الأحداق كل الرؤى والآتى الجميل، فيشرق دفئا على الجبين.



الخوف

إلهى أشكو إليك من لا يخشاك، فيصعقنى حين يلقينى فى الجب الأسود، وتبيت مواجعى ملحا على جرح كاللهب لا يشفق، فالسيف إن يقطع فلابد من بوح..

فمن قتل عبير زهورى؟ من طارد فى قلبى حلما طوتـه الليـالى، فارتد بين الضلوع النحيب؟ سال دمعى يحرق فى مسيرته المـآقى، والصمت لا يزال يلهث فوق الأحزان وجدران الزقاق ، من كهـف الظلام نزعوا كل خفايا القناع، فلبست معطـف الضـياع، سـيرا الى المجهول والسراب، رسموا علامات الوحشـة فى عـالم يسـعى بـلا طهر، فاكتست روحى بالنار.

ورجعتُ أشلاءً ممزقةً تعذبنى المرارة حائرة، ومن عينى يطـل ألف سؤال، أبحث عن طوق نجاة ينقذنى من الطوفان..

كم حاصرتنى عواصف الغدر العاتى، من ذئـاب وأفـاع سـود، تمـرح فى دجـى الأوهـام، فصـار نعيـق الغـراب وصـوت السـباع موسيقى، يشنفون بها آذان من فقـدوا الضـمير، العـابثين بـالأرض بالحقول والنخيل، بين أطماع ووهم، أراهم كالريح إذا زمجـرت، كالرعد تقصف فى غضب.

هؤلاء هم الدجالون والمـراؤون والقراصـنة، وهـاهو وجهـي المصدوم، وكفى الباردة وقلبى المكلوم من سياط كلماتهم كالجمر

يزيد من نار احتراقى، فمن مزق طيور الحلم وحطم فى قلبى كل ما يسرّ؟

من عزف أناشيد الضياع على كل أوتار البشر؟ لقد رحلت الشمس وأنا أنزف، يتبع نزفي خطوى، وأغزل من كفنى خيوطا تصفر فيها الرياح، وتئن الغصون.

آه يازوبعة الأقدار! أين طريقى أين المفر؟

تهاويت وحدي طريدة، وهؤلاء تدثروا بثوب الخديعة، بخنجر اغتال الحقيقة، بربوعى زرعوا الشقاء، يبلل أدمعى حشو الوساد، كى ينمحى من دربى صوت الرجاء، فسلعة الأحقاد تعلو، والحب أمسى سلعة يحبطها الكساد، والسؤال حينذاك: لماذا يحيا الكره دوما فى اتقاد؟

كم أرتجى نورا وصدقا، ومحبة هى كل زادى، لكن هناك أرى من الناس الذين غدوا وحوشا، ينهش نابها كل العباد.



يامولانا

قلتَ لا تخافى، واصلى المسيرَ، بالإيمانِ نطفو فوق أحلامِ الصقيعِ، فعينُ اللهِ ساهرةٌ، وبعد الغروبِ شروقٌ سوف يحكى أسرارَ مطلعِ الشمسِ البديعْ.

ثم عادوا يهللون رافعين شارة النصر، قالوا: صنعنا فتنة كبيرة، حرقنا القلوب، النار فيها عظيمة، لنخيفها ولنجعل الروح منها سجينة، نكبل صدرها ياأعمى البصر والبصيرة

هيا أكملوا السعى، واقضوا على ماتبقى، علّ قلب «مريم» يستحيل رمادا، وبيتها رمالا، ولنجعل الشيطان يرتع فى كل ركن، ينفث سمومه ووحشة الصمت اللعين، وأصبحت الليالى معتمة لا شط ولا طوق، ومريم حائرة كالبلبل المهزوم أو سندباد سجين، تحيا بلا مؤنس، تتآلف مع القيد والضيم، لتشهد الأيام أن لحظة الهدم لا تثلج للشيطان أساريره، أو تصنع الفرح لأولاده وأحفاده.

تلك اللحظات التى يئن الجريح فيها أنينه.

أطلقوا العنان للسفينة، فتبحر -رغم بكاء النيل- شواطئُها المحزونة، جعلوها تبكي بحورا من الدموع الهتون فى عالم الضباب حتى أصبحت رهينة.

فقلت لهم: لا علىّ من ضحكات البلادة، لن أجادل لأن للقلب

النضير أثمانا وسبلا ليست معبدة بأزهار الخميلة، سوف أصنع من خوص النخيل قلوبا طيبة تطوق العالم، أنا من تصنع تلـك القلـوب فالنهايات سعيدة.



لن أبالي



لن أبالي بالأنواء والإعصار كلما ضمّنى الليـل، فى الليـل دومًـا أناجى رب السـماء، أبتغـى الصـفو والفجـر الضـحوك، لـن أُبـالى بالصخب ودبيب الغرور، ولن أشكو الضيق والبؤس، ولن أصـبّ الحزن فى الكئوس، لن أتكلف الضحك، إنكم بالأغلال مصفدون، وإن جف نهري فى الزمن الردئ، فسوف أعـود للقصـيد الطيـب فى الفجر الوليد، أربح مراكب النور، ألوح للقمـر وأبحـر مـع الـنجم وأتوق الشجر.

كم رسمت دربا للأحلام وعانقت السحب، أعود لسحر الشفق وأجوب الضفاف، أردد أنشودة السـمر، أسـبح مـع المـوج، ألـوذ بالظلال والصباح الندى.

أُمعن النظر هنا وهناك وأتساءل: من أهدانا الحب، يلـوح أمـام عينى شىء يهرول فى جنح الليل، فى فزع أئن وأبحث عـن تضـميد جراحى؟ العمر يمضي والعجز يدب بأوصالى

كم خذلنى هؤلاء كما خذلنى سيل المطر؟ فهل خاننى المنطق عندما كنت أحسب دوحة الغد الرقـراق وليـالى الصـفو باقيـة أبـد الدهر؟

أغلب الظن أننى حجبت عن ناظرى الشمس، فجفت محبرتى وقُصف القلم، تقلبتُ بين غيوم زائفة وسماء معكوسة، وارتفعت فى

حصنى جبال من الحزن حتى جنحت مراكبى، وأمسيت من الأشباح أختبئ، كبلتنى طعنة الغدر من تفجير الأمس ليلة الميلاد المجيـد، صارت الأرض بركانا من الجمر والذكريات تستعر، وأنا عن أمري لا أدرى، فمن يخفف عني هذا من البشر سوى الطيب؟!

الطيبون كالجواهر
ونسائم العطر



سنظل نحلم بأرض ما لوثتها شرور البشر. ليس هناك سوى النور والزهر والظل والصحو والماء فى شلاله ينحدر، وليس لى فى الأفق غير اخضرار المروج، وغير اصطفاف الشجر

سنظل نحلم بالجلوس فى صحبة الإمام، ليشرق الحب أحلاما فى القلوب بحب الله «عز وجل» فندرك حينذاك بأن وجوده نعمة من الله، بلقياه يخضر الدرب، ويسرى فى الدنيا العبير والشذى.

نرنو إليه بوجد يريح قلوبنا من كمد، فخصب نهاره ينمى صبا ولدى، وولدى كالقمر، فصحبته أحلى من الشهد ومن لثم الزهر، أحلى من الشعر فى السحرْ، وأشد جمالا من بريق الذهب، ومن نخلة أثقلت بالرطب، وأحلى من العُنب، فموئله حتما بين العين والهدب، معه نحلم بالدفء فى ليل البرد، وحين نطوق بالحرمان والهجر، فهو الزورق فى الماء الغافى حين يسرى يرتجى نهرا.

فضيلة الإمام دائمًا يقول عذب الكلم: هى أرضنا ونهر حياتنا العذب، بالإيمان والمواطنة لن يضار أبدا شعب مصر.



الحادى عشر من الألفية الجديدة



هذا العام الذي شهد ميلاد ثورة الخامس والعشرين من يناير المجيدة، هذا التاريخ الذي عطر الأجفان يوم سقط القناع وأسفرت الوجوه عن آلاف الظنون.

ثلاثون عاما ونحن نرتجى حل الشراع، المخاض، وكأن الشفاء أمر محال، كما الإعصار يصعب أن يلاقيه اندثار، حين خرج الشعب إلى ميدان التحرير مطالبا بحقه فى العيش والحرية والكرامة الإنسانية.

لا أدرى يا وطنى لماذا يموت الحلم فى دربى؟ يحاصرنى الموت، لكنى أصرخ: عشقتك وفى ترابك أفنى عمري، وفى محنتى أدعو أن أفيق من همي، يا وطنى قضيتى أنت بعدما تدثرت بثوب الخديعة، بخنجر اغتال الحقيقة، متى أودع خوفى؟ متى ألملم رايات الدموع؟ متى نحطم تمثال الخضوع، ونضم فى الأفق شتات الضلوع؟ فقد كانت طعنة الغدر تستنزف مابقى من سلام روحى، عندما فجر عتاةُ الإجرام سيارة مفخخة عشية صلاة رأس السنة الميلادية بكنيسة القديسين بالإسكندرية.

هذا التفجير الذي أعلن مسئوليته تنظيم القاعدة فى بلاد الرافدين، هو نفسه استهدف أيضا كنيسة «سيدة النجاة» ببغداد، فأردى المصلين قتلى دون ذنب، فتناثرت أشلاء أطفال البراءة فى كل ركن، والمشهد أبكى كل ذى ضمير حى.

ثمانية عشر يوما وأنا أغلق على نفسي الأبواب، ولم يعد يجدي النظر خلف الشرفات، فى انتظار مجهول سوف يأتى، الصقيع يمتص الدفء، ليعكر صفو الأيام، شظايا الخوف رياح تخترق شغاف الحلم، تبتلع شمس الأمل.

فقدت الأمان بغياب القوات الشرطية، الاتصالات أيضا قطعت، ووجدتنى وسط الضباب، ودوامة من رؤى موحشة، وظلمة ليل طويل بطىء، وبرد يجمد ظل الرؤى، وأشباح رعب تثور بصدرى، أضاعت ترانيمه الطائشة، تبعثر فى الكون وردى وفلى، وتذبل أزهارى الرائعات، بقلب أذابت حناياه عاصفة باطشة، تسوق من الخوف جنا ووحشا، وتمنع شمسا، وتحجب دفئا، وتزرع خوفا، خفافيش تقتل روحى زحفا، فبات المكان لروحى منفى.

ياالله متى ننتهي من هذا الكابوس الرهيب، فما كنت يوما أطيق اغترابا، وروحى بأرضى تعيش الكرامة، وتنهل دفئا بكل ابتسامة، لكن أملى فى جيشى يصب النار بكف قوية لتسحق الزيف والغدر، فتعود أرض الطهر، تمحو عن الزهر أدخنة النيران.

وسَرعان ما استجمعت بقاياى، وهُرعت إلى المحبرة والأوراق، أخط مشاعرى، أفضى بما يعترينى، لعلنى أجد ضالتى حينما أصدر كتابا جديدا يمنحنى البهجة، ويربت على كتفى فى غياب الذين من

المفترض أن يكونوا دوما إلى جوارى.

يا الله.. فلتنظر إلىّ بعين الرحمة، مد يدك وانتشلنى من عواصف تلفنى ليل نهار، الوحدة تقوسنى منذ زمن، ياالله ليس لي إلا أنت.

بينما أسترسل فى الكلام والمناجاة مع الذات شعر قلبى بفرحة وتذكرت «قداسة البابا شنودة الثالث» الرجل الوطنى عذب الحديث كصفو الماء، والذي يعطر الأجواء والقادر على إذابة الجليد، يضىء غياهب الأغوار، هو القائل أيضا إن مصر وطن يعيش فينا، وليست وطنا نعيش فيه، حصن الأمان للأرض العظيمة.

استحق قداسته أن يلقب ببابا العرب، وتذكرت موقفه الثابت من زيارة الأراضى المقدسة، لقد كان موقفا وطنيا شجاعا، نفخر به جميعا، خاصة عندما اتخذ قراراه بمنع السفر إلى القدس المحتلة، مادامت تدنسها أقدام الصهاينة، وأن التقديس لن يكون مقبولا إلا بتحريرها، والذهاب مع إخوتنا المسلمين يدا بيد؛ فالطائع تحل عليه البركة، ثم عرجت الآن على رجل ننهل من علمه، وبسمته المورقة كشذى الورود تفوح بالعطر، إنه جوهرة العالم الإسلامي، العالِم الجليل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر، قلت بينى وبين نفسى: أعرفك يا إمام حين تطل علينا فى البرامج التليفزيونية، متحدثا لبقا هادئا غزير المعرفة، فتجذب إليك العقول والأفئدة،

وسطرت له دون رياء هذه الكلمات:

ستظل يا إمام السلام والأزهر رمانة الميزان لمصرنا، ومصرنا فى الدماء، هى أرض الطهر التى سرت على أرضها العذراء، أرض نمت على أرضها عبر القرون، أديان كل الأنبياء، يا طيب.. أنت لاتعرفنى، لكن بين جوانحى قلب يزعجه النزف، لم يعد قلبى يتحمل مزيدا من الحزن، والدماء تغرق الدرج وساحة الكنيسة وأوراق الشجر، من هؤلاء يا مولانا الذين لم تصل إليهم تعاليم الدين السمح بعد؟ من هؤلاء الذين تجردوا من حب الخير؟ من هؤلاء الذين لا يستمعون إليك؟ إنى أراك موطن الشمس والأصداف، تقهر بحكمتك أقبية الظلام، كان الكتاب الذي حمل هذه الكلمات هو كتابى بعنوان (الثورة والزمن المسروق) وقد أرفقت به إهداء إلى صاحب المقام الرفيع.

ولم يدر بخلدى أن يأتينى أى جواب، فمآل الكتاب سيكون بالتأكيد النوم على واحد من أرفف المكتبة العامرة بأصول الفقه وتفسير القرآن الكريم، لكن يمر يوم، يومان، وثلاثة ثم فى اليوم السابع دق الهاتف الذي أعاد للأنجم رونق بهائها، إذ صوته أندى على سمعى من عزف الكمان.

قال: أحييك على الإبداع، وكلمات طيبات أسعدتنى، ثم

وجدتنى أفضى إليه بمكنونات نفسي نيابة عن كل الجموع، التقدير وعظيم الامتنان، كان التواضع والصوت الدافئ سبيله إلى فـؤادى، واغتنمت الفرصة للقاء طال انتظاره، رحب فضيلته.

في الواحدة ظهرا وكانت خيوط شمس الأربعاء تلقى بدفئها على روحى وسماء بلادى، فهلل القلب اشتياقا، وكلما اقترب الموعـد تسارعت دقاته، ترى ماذا عساى أن أقول؟

اللقاء الأول يجب أن يظل عالقا بالذهن مورقا نيرا، وأنا كتـاب مفتوح من السهل قراءة صفحاتة، وكلما دنوت من الموعـد كانـت تغمرنى سعادة تذكرنى بيوم ميلاد حفيدى، مسرة لا تنتقص منها إلا نصال فى الضلوع زرعها أهل الشر، ومددت يدي أصافح ملاكـا فى ربوة مقمرة، كأني أحيا فى معيته منذ ألف عام.

نعم لكل إنسان نصيب من اسمه، أهديته القصيد وجلست على مقربة من مقامه الرفيع، قلت: أخشى تهاوى القلاع يافضيلة الإمام، أخشى على الولد وأعز الولد من دنيا بلا سياج، فمن يدركنا قبل أن يهيض الجنـاح؟ الحـزن فى الأجفـان والمقـل، تـاه مرفئـى، أسـير بمصباح نضب زيته، هل سنعود لأزمنة حجرية؟ النفس باتت معذبة، مسافرة وأنا مقيمة فى بلد الكنائس والألف مئذنة، الحاضر موحش، كله خريف، أرجوك فلتطو صفحة حزينة من عمر هذا الحب.

أكثر من ألف وأربعمائة عام، ونحن فى عيون العالم كله حضارة عظيمة، نحفظ وحدتنا الوطنية من كل طامع.

أزاح عنى الارتباك وقال: مقدساتكم نحميها، أوصانا بكم خيرا الرسول الكريم، لاتخافى من ألف تنين والله خير الحافظين، يقول الله تعالى فى كتابه الكريم:

﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [٥/ ٨٢].

مر الوقت الطيب بسرعة البرق، بعدما أزال فضيلته ركام الخوف، ثم كان التذكار إلى جواره أبلغ من أى حوار.

بعد
الزيارة الأولى



بعد هذه الزيارة الخاطفة، أستطيع القول بأننى قررت ألا تكون الأخيرة، فالدقائق الطيبة لن يطويها النسيان، خاصة عندما بدأت أتحدث عنها للزملاء بسعادة بالغة. لقد استطاع الإمام الطيب بسمو روحه أن يحتوينى وكنت أتشح بالسواد حدادًا على أرواح شُهداء كنيسة القديسين بالأسكندرية.

هذا النبل وكرم الأخلاق من صفات ورثة الأنبياء، ووجدتنى أستعيد هذه اللحظات الرائعة في نصٍّ جديد بعنوان (لقاء الأزهر) فقد طاب جرحى واندمل، من فجر شاع فى الأفق.

هذه الأرض الطيبة بالتأكيد لن تُفَرِّق بين الضحايا (محمد ومينا)، وهل تقوى الأفاعى على اعتصار الحلم؟ هل تقدر العناكب أن تحجب أجراس العقل لتشوِّه وجه الحق؟ بالطبع لا.

إذن فلنزرع القمح ونجدل الضفائر من شجر السمر، لنصنع سلات الطعام الشهي، لننقش أجمل عبارات الحُب يا موطن الخير والطهر يا مصر.

وفيك من الحب سحر وعطر سري فى الحنايا، وسر دفين، وإيقاع فرح يهز القلوب، وبدر يتوج فى الخالدين.

يا مصر.. حين مست عيناك بالحب قلبى، زرعت الفرح بأبياتى، إذا ما كتبت عنك، غبت فى لجة الورد، أغفو فى الظلال، إني أراك يا درة الشرق، بعيون المحب الطيب.

وبعد عامين وبينما أطالع الصحف اليومية، وقعت عينى على خبر نشر بإحداها مفاده (أجرى شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب عملية قسطرة للقلب داخل مركز مجدي يعقوب بمستشفى أسوان الجامعى).

وبطعم الصبار بات مذاق القهوة، طويت الجريدة، وتمنيت لو أنني أملك بساط الريح؛ فأطير حيث يتواجد القلب الطيب، فأهديه قلبي، لو أنني طائر لحملت بين جناحيّ زهورًا بيضاء، وعذب القوافى، وصلاةً من الأعماق أن يعود إلينا بسلام، صحن مرمر وعقيقا، عنبا وتفاحا، وأسراب الحمام تهديني الطريق، أما الفراشات فسوف تأتى دون إبطاء، عطر النسيم يعطر حول الطيب الأجواء، لكننى لا أسكن الفضاء، فكيف على متن السحاب؟ يا لها من أغلال، ما حيلتى يا من طابت به الأيام؟

سوف أجمع من خيوط الشمس خمسة لأزين اسمه بإطار، وظللت حائرة أجوب الطرقات، أسائل النجمات كيف أكون فى صحبة

الكرام؟ كيف أقول ألف سلامة ياكنـزًا من السماء؟

يا فضيلة الإمام: يد الله سوف تحميك، يا من سـلمت قلبـك لله أولا، ومن بعدها صار بين يدي العبقرى «مجدي يعقوب»، يد الرفق المرهف، حلو المبسم، الطبيب العلامة الذي قال: إن نقطة ضـعفه تـتجلى حينمـا يـرى قلـوب الأطفـال تتـألم. ولـذلك تـراه يجـرى الجراحات دون تمييز وبلا مقابل.

يا طيب القول والعمل: أنت على يقـين أننـا واحـد، (جـامع أو كنيسة) هى بيوت الله، يا بدر سما فوق النخيل، قلبك الدافئ عصفور يتوق للسكينة، للنور، للحق، للعدل، فالحب تحت الشـمس يقينـا الظلم، وصلاة الفجر وآيات الذكر الحكيم، فى السجود والتكبيـر، وكذلك صلاة (باكر والمزامير)، قربان وقنديل يضىء لنا الطريق.

يامن تحلم دوما بنبت ربانى، تعلوه مشاعل البهجة والوئام، إني أراك ياطيب مع طبيب القلوب «مجدي يعقوب»، و«غاندى» الزعيم الهندى، أبطالا، يجمعكم الضمير والتواضع والخلق الرفيع.

«غاندى» الزاهد الناسك كان ضـد العنـف، ضـد التمييـز، مـع احترام حقوق الآخرين، وهـب حياتـه مـن وازع إيمانـه بالسـلام، بالعدالة، وحب الإنسان لأخيه الإنسان.

وبينما عقلى يعقد المقارنات بين الأوفياء، كان القلب فى أسوان، يتضرع لله أن يعجِّل بشفاء الإمام الإنسان، لم يكن أمامي إلا الهاتف لأقول لهم فى المشيخة، أبلغوا فضيلته برسالتي وهـي تحمـل كـل المحبة والتقـدير، كـل الـدعاء لله أن يظـل للـوطن أيقونـة المـودَّة والجمال. نفديه بالروح والدماء.



تهنئة

كنت أتابع الإمام قيمة مقدرة، وقامة سامقة، وإنسانا قلما يجود بمثله الزمان، فقلبى الذي هاتفنى قبل اللقاء الأول يصدق دائما، كم حدثنى عنه قائلا:

ستجدين الإمام الطيب عند معبر الطير المهاجر، أرضه تضم المتعبين إذا طوقتنا البراكين، وفى ظلمة الأنفاق إذا ضاقت بنا الأرض، هو من يحطم الأغلال، والغيث الذي يروى الظمأ بعد قيظ الزمان، يبدد الآلام فينساب نورا يهدينا الشراع، يتألق بالحنان، نجما فى براحات الخلود، فى جبينه الأمل وكل الخير، فشعرت الآن أننى أمتلك الجوهرة الوحيدة فى هذا الكون، على أن أخبئها خشية طلة الحسد والحاسدين.

لكن من سكن الأحداق، بات يتراءى لكل البشر شعرا ونثرا، ولم لا؟ والطيب الذي كلما هنأته بالعيد، جعلنى أشعر بأننى فى عيد وعيد.

رونق بهاء اللحظة يمتد إلى مابعد السنين، ماأسعدنى بالنوارس والبحر، بالورد والياسمين، بشمس الأمانى، بالنيل الحنون، البلابل وكل الطيور

هنا وادي الأقحوان، عذب القصيد للطيب، ياالجمال النخيل، سوف تذوب على أعتابه أوجاع السنين، القلب البكر يهتف للفجر الوليد، يرقب السماء والقمر هلال، الفرح آت لا محال، فهيا بنا

للاحتفال بالمولد النبوى الشريف، أستعيد حلوى الحمصية وطعم الأيام اللذيذة، ويد أبى تمتد إلىّ بعروس المولد التى أحرص على أن أكون البادئة بشرائها قبل إخوتى المسلمين

كان أبى (رحمة الله عليه) يهدئ من روعى إذا سقطت العروسة رغما عنى فينكسر شئ منها، ولا يكاد يمر اليوم دون أن يبتاع لى عروسا جديدة.

هناك شئ مشترك بين الطيبين، المحبة فى الله، العطاء والكلمة الحسنة، إسعاد البشر بالبسمة المورقة، كنت ولا زلت أسأل نفسي عن سر الفرح كلما وطئت أقدامى المشيخة، أهدى الإمام قطعة الحلوى مجسدة فى كلمات، وكأننى أستعيد فى تلك اللحظات النادرة اللحظات الروحانية الصافية، مشاهد لن يمحوها الزمان من الذاكرة، أستعيد دفء بيتى ويد أبى، وصحبة الأهل والجيران

مشاعر مالها من ترجمان، أقدمها وكأني أعود بالعمر إلى العشرين، ثم بعد ذلك سافرت لتمضي بى الحياة فى كل أرض، لكن الوطن كان لا يبرح فؤادى

أما الطيب الإمام فأعلم أنه لا يشكرنى على قطعة الحلوى والكلام، بل على قبطية تشارك إخوتها في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف والعيد، حقا إن كل يوم فى معيتك ياطيب هو أجمل الأعياد.

عشق مختلف جدا

خمس سنوات من عمر هذا الجمال، مضت كالنسمة فى ليالى الهجير، فيض مشاعر يسحر قلمى، محبة تتعدى حدود الجبال، تطيب ما أدماه الليل فى وادي الشتات، يلطف الأجواء كلما ألم بالوطن وجع صنيعة القلوب الرديئة التى لا تعرف للطيبة عنوانا، هو الحصن والسياج، الرياض والعبير، بستان ورفيف نيل، سلة من تين وتفاح، سلسبيل وهديل حمام، جمال وإشراق لؤلؤ، مرجان وياقوت، سنابل دفء بين الجفن والأحداق، نهر عطر، صلاة وصوم، بهاء جدول، أقواس بنفسج وأشجار توت.

خمس سنوات وبسمة الأزهار فى قلبى نبضات تستدير إلى الأغصان الهاجعة، ترقب مملكة الفرح وراعى الفجر الجميل، خمس سنوات وأنا أبحر فى تجاويف الزمن وسنابل الذكريات، أهفو للوفاء والاحتواء لتضميد جراح المحرومين، أهفو للعودة إلى الكوخ الأخضر، فما زلت أراهن على عرش اللبلاب حين يصنع خيمة بحجم الأحلام فأروى كل التلال، ومع كل لقاء طيب، أزداد عشقا للردهات الممتدة، للأعمدة والجدران، هنا سوسنة الوادى، ألق عجيب يهدينى النور دون دليل، أزهار عرس تمطر الفرح، فيودعنى اغتراب الروح، هنا شئ من الزاد يروى البحور والقوافى سحرا فيفيض موردا، يامن ملكت الفكر وكل حروف العطف فى الروض النضير.

يامن تجاوزنا به حد السحاب، فى حنايا فؤادك ماء زهـر، يزيـل ركام الخوف، ياشمس الأصيل، يامن فى رقة النسيم السارى، أسأل عنه الظبي والكروان، النهر والسحاب.

فسيد القوافي في عينيه دعوة للتسامح، للحب الصافى، شكرا لأننا صادقنا الطيبين الملهمين، فتوالت الملاحم تراعى ميثـاق الوفـاء، ورحت أتهيأ للقاء أهنئ فيه إمام المسلمين بالشهر الفضـيل، أقـول لفضيلته: رمضان كريم، يعود علينا ونحن طيبون آمنون، نقتسم فيه الخبز والملح فلا فرقتنا أزمـان، كـل عـام ودرة الشـرق - مصـر- محفوظة بإذن الله.

وكعادته يستقبل ضيوفه بشوشًا، ثغره معطـر بنـدى الفجـر، أو كزهرة تفتحت يقول الناظر لها: الله، وكان يثمن حضورى ويـدرك حرصى على مد جسور الود، فما زلت أحلم بأرض تضمنا، نترجل فيها بين السنابل والورود، نكتب القصيد بحروف من نـور، نرسـم القلبين وبينهما هرم ونيل، فلم تعد تكفي الدواوين والأشعار التـى ألقيها فى المنتديات بين أقرانى، لا يعدو صداها الأبواب والنوافـذ وكلمات الإطراء، الله يامريم، أحسنت، رائـع وبـديع. لكـن كلمـة واحدة من الإمام، حرف من ثغره، تصير شيئا باتساع البحر فأشدو بالمزيد، وجلست فى معيته، وبينى وبين نفسي أتساءل، لماذا أحرص

على التقاط الصور فى كل لقاء دون أن أبدل غطاء رأسى؟

من المؤكد أننى أتفاءل باللون الوردى، لعل هذا العبق الذي يبقى بين خيوطه، ينتقل بالتدريج من رأسى إلى روحى، يذكرنى بالانطباع الأول الذي يزداد رسوخا مع الأيام، ومن المؤكد أن عبق المكان الممتد من الأرض للسماء، يعيش بالنسيج الواحد، ليظل شاهدا على أواصر وحدة عمرها آلاف القرون، لن ينال منها كائن من كان، لكن هذه المرة قررت ألا أنسى أن أقص على فضيلته هذا الموقف الذي كان سببا فى إصدار كتاب جديد اعتبره النقاد أروع ماكتبت.

فقد تلقيت دعوة كريمة من الدكتور أحمد عبد الرحمن وهو أستاذ فى الشريعة، للمشاركة فى ندوة بعنوان يوم فى حب رسول الله (عليه الصلاة والسلام) ولم يكن يدري أننى من أقباط مصر، وكانت فرصة ذهبية قررت أن أغتنمها لسببين:

الأول: أن الأديب يحمل بين جوانحه قلبا يفترض أن يكون منفتحا على الجميع، صاحب رسالة تنويرية هادفة، الأديب فى الواقع لابد أن يكون قدوة لأجيال الشباب فى نشر الوعي وقيم التسامح والسلام، ومن غير اللائق أن ينحاز لدين على حساب الآخر، ومن غير اللائق أيضا أن يعتذر خشية غضب بعض الكارهين المتعصبين

الذين يظهرون مالا يبطنون، فما كانت الأديان غير محبة فيها لكل العالمين شفاء، والرسل الكرام أتوا جميعا برسالة واحدة تحمل فى طياتها الخير وإعمار الأرض والسير بالعدل خوفا من عذاب الله.

والسبب الثانى أنها فرصتى لأختبر ماتجود به قريحتى، خاصة أن الشخصية العظيمة التى أتناولها هى الرسول الكريم (عليه الصلاة والسلام) ورسالتى أنك كلما زرعت الحب فلن تحصد إلا الحب.

تلك تجربتى الخاصة التى فطرت عليها، وكل الشكر لله «عز وجل» الذي منحنى أصدقاء كثيرين يبادلوننى الحب بحب أكبر وإن ظهرت على السطح بعض الفتن لزرع الشقاق وبث الفرقة، فسرعان ماتنقشع الغمة، لنعود أكثر تماسكا ووحدة، ولن ينجح هؤلاء المأجورون أبدا، يد الله تحفظ هذه الأرض وناسها الطيبين، ولدى المصريين من الوعي الكثير، هذا الوعي حائط صد ضد العابثين بأمن مصرنا، هكذا يقول التاريخ ويستحيل أن تفرقنا أزمان.

أفضيت للإمام بكل مشاعرى فى هذا اليوم الجميل، وأن مردود ماألقيته من أشعار فاق أحلامى، لقد قوبل بعاصفة من التصفيق.

الكل يلتف حولى وقد ارتسمت على محياه علامات الرضا والفرح، فسادت أجواء من الألفة والمودة اختلطت بعذب التواشيح، تبارى فيها المنشدون بعذب الكلم، وكان مسك الختام

هذا الهتاف الذى تهتز له الأبدان إجلالا، مسلم مسيحى يد واحدة، لم يكن بيننا من يرائى، لم يكن بيننا من يندهش لوجودى فى تلك الليلة المتفردة، فما كان من فضيلته إلا أنه ابتسم ملوحا ببارقة المنى، ولسان حاله يقول : نعم هذه مصر، على هذه الأرض تنبع سماحة الأديان، الدم واحد والقلب واحد، العلم واحد، معا ضد الغاصب والطامع، معا من أجل رفعة هذا الوطن الأم .

يامصر أنت فى الكون درة وإباء، فلتسطّرى يامريم قصتك لتصبح نبراسا للشباب، ثم كان «عشق مختلف جدا» كتاب وضعت بين دفتيه مواقف حياتية مازلت أحيا بها ولها.





كتابى الذى عشقته

بالذكريات طوّفت، استحضرت كل الأقاصيص التى حفرتها الأيام بروحى وعقلى، كل مارسمته يد الأقدار مازال حيا، مسراه الدماء والشرايين، الحب الرقراق الذي عانقت به الحياة، مازال يروينى ، حب عبقرى راسخ كالجبال.

مازال ثوب الأمل معطرا بعبق السلام والأيادى البيضاء، مازالت أوراق الحقول وأنهار الرحيق ممتدة بالخصب، تهزم غارات اليأس، والذكريات كانت لحنا للفؤاد رائع الشدو، تعانق قصيدة الخلود بسطور خضراء، وجدائل الضحكات تسري فى جفوني.

فهي الملاذ الآمن إذا جنح القارب بعيدا عن الشط الآمن، استحضرت الأصابع التى كانت تجدل سعف النخيل فى أحد الشعانين، الفوانيس وقد علقت على دار جرجس فهيم، شرفة الأحلام، وحلو الكلام عن كعك العيد، عقد قران فاطمة على أحمد ابن عمى سعيد، أنشودة اللقاء ومحطات الاستقرار، الحكايات الجميلة عن همس السواقى، الصفصافة حين تميل على نيل الوفاء، التراتيل والتواشيح بحنو شفيف تجتذب الأسماع والأرواح، كم أعدت بالذكريات مذاق الألوان، لأبعد عن عينىَّ شبح الخوف، وكم رسمت للغد ألف لوحة بألوان قوس قزح.

شمس الأصيل تسكب فى القلب فرحة حب الله والشيم، شمس

الضحى لحن يسرى هادئا، بحثت عن الحلم، عـن مـريم العـذراء عليها السلام، عن السيدة زينب عليها رضوان الله، ليلة القدر التـى هى خير من ألف شهر، الشهيدين محمـد وميـنـا، مجـدي يعقـوب الأسطورة، الأم تريزا، عـن القلـوب الغضـة فى المدرسـة والأبلـة أسماء، مع الجيران فى رمضان وطول العام. ساعة الصفو بين أمـى وأم مصطفى وبينهما قهوة الصباح، والدي والحاج «علي» مع شاى العصارى، أما فى يوم الجمعة فكانا يعرجان بعد الصلاة عـلى عمـى حسان، كي يستعيد ثلاثتهم خمسين عاما من الوئام. عن المنصـورة سطرت أروع القصـيد يـا أرض الشـموخ والكبريـاء، عـن وطنـي وصبايا وأحلامي، مصر العظيمة وأهلها العظماء.

لولاك يا إمام ما كان الكتاب كتابا، يشار إليه بالبنان، لولاك مـا نسجتُ هذه الملحمة فى زمن عز فيه الوفاء، بالحكمة تمـد جسـور الود، تروى ظمأ الروح، نرسمك وطنا، فجرا، ياوردة البلاد.

علمتنا أن أبيض الزهر يتباهى به المرج، وأن القادم دوما أفضل، وأن أصيل الشجر في اللحظات الصعبة أمتن، علمتنا ألا نحبط، وأن الحاضر يولد من رحم قديم يتجدَّد.

يا إمام.. أنت في التاريخ رمز التآخى والوفاء، منك صيحة الحق، عنـاب فى مواسـم النضـارة والفـرح، بريـق شـعر وورد، الشـراع

والمجداف، نمضي إليك على ضفاف بحيرة الوصل، الأمل فيك، فى الصبح حين تنقش آيات الجمال، حين تسقى الصحائف حب الله، حب الحياة، وكل البشر.

ورحت اتهيأ لمناقشة العشق المختلف، لم أكن أدرى أن طائر الفجر سوف يطوق نحرى بالفل، وأن نسمة العطر ستضيء كل حروف الصمت.

ها هو طائر البهاء يرفرف ابتهاجا حولنا، حين أوصى الإمام الطيب بأن يحضر معنا فى حفل توقيع الكتاب من ينوب عن فضيلته، وكان نعم الاختيار الأستاذ الدكتور «محمد الجبة» أستاذ اللغويات بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، والذي أضفى الكثير من إبداعه العلمي والثقافى، وذلك بشهادة النقاد والأدباء والشعراء، نذكر منهم على سبيل المثال: الشيخ أحمد_كريمة، الدكتورة آمنة نصير، الدكتور كمال الهلباوي، الدكتور منصور مندور كبير أئمة بوزارة الأوقاف، الفريق محمد علي بلال، الأنبا إسطفانوس عزيز مطران الجيزة لتكتمل الصورة المشرقة دوما بالصدق والمحبة الخالصة دون رياء.

يا الله الشكر لك والحمد على الكلمات الطيبات فى حق ماكتبت، وكان النذر القليل مما ترسخ فى الوجدان عن تقدير النعم الإلهية، الرسالات السماوية، وكل نبت رباني تعلوه مشاعل نور وبهجة ووئام

يحمل فى أغصانه مئذنة وأجراسا.

الشكر لك يا إمامنا على نعمة العطاء والإخلاص من أجل مصر، ياالله احفظ لنا هذا القلب.

بعد شهر أقمت أمسية جديدة للإحتفال بذات العمل بقصر ثقافة «نعمان عاشور» بمدينة «ميت غمر» تلك الأمسية التى مازال صداها الرائع مستمرا حتى كتابة هذه السطور، فقد أوفد الطيب مجددا من ينوب عن فضيلته ليكون القامة المقدرة بين لفيف من الأدباء والشعراء وكل من أحب المريمات، فضيلة الشيخ الجليل «وحيد عايش» رئيس الإدارة المركزية بمحافظة الدقهلية.

هذا الاهتمام الطيب من فضيلة الإمام، جعلنى أُجزم أنك إن زرعت الحب وأعطيت بسخاء دون انتظار لمردود مادي أو معنوى، أى الحب من أجل الحب. فإنك بالتأكيد ستحصد فى الدنيا الغرس الضارب فى الأعماق، والذي لن يمحوه الزمان أبدا، فلن تقوى عليه أعتى الرياح، أما فى الآخرة فمآلك جنات النعيم مع كل الطيبين من الملائكة والرسل الأطهار المكرمين، وكم أسعدنى الزميل الأديب «فايز جعفر» حين راح يبتاع (الحمصية والسمسمية وعروس المولد والدوم والعسلية والنوجة) لتكون هديته لمريم بعدما كتبت عن الطفولة والبيت الدافىء، الأحباء من الجيران وجيران الجيران.

الكل وجد في العشق المختلف، شيئا من ذاتـه، أراد الأسـتاذ « فايز » أن يعبر عن الحنين للماضي الطيب، فأضفى جوا من المودة والسعادة، ورحنا نتقاسم كل هذا في جو تعجز الكلمات عن وصفه.

وكأني بهذا الكتاب أعيـد إلـيهم شـريط الـذكريات المحفـورة بأعماق كل منهم، أما أنا فلن أنسي ما حييت فضل الطيب الذي أثمر شعرا رقراقا، يزرع الآفاق بالحب والنغم.

صدى العشق



كلما سمحت لى الظروف أن أهدى كتابى الذى بات عندى أغلى ماأملك فى هذا العالم، أهديه للأصدقاء والصديقات، وكل من يسأل عن نسخته، كنت على يقين بأننى سوف أسعد قلوبهم، أطمئنهم بأن القادم كله نور، لكننى فى واقع الأمر كنت أطمئن نفسى أننا كلما استعنا بشذى الماضى، آيات النبل والوفاء، التقدير والتوقير، سوف نهزم أقلاما وأشباحا، تدعو فى الخفاء لبيع الشقيق بالبخس، ترتع فى كل ركن، تسعى للهدم، تبيع الوطن بحفنة من الدنانير، غير عابئة بحضارة وتاريخ هذه الأمة العريقة التى يحسدنا عليها العالم بأسره، بئس المتربصون بالكنانة، تبت يداهم وتبّوا.

سنقف حائط صد أمام كل من يقذف بالسهام خاصرة بلاد ذُكرت فى الإنجيل والقرآن، وضد من يسعى لشق السفينة.

من المؤكد أن الكلام الصادق سيصل إلى القلوب بسرعة البرق، العشق سوف يؤتى ثماره، وتظل مصر قلب العروبة النابض، كنائسها ومساجدها فى عناق حتى المنتهى، تروى سيناء بدماء الأوفياء محمد وبطرس، حنا وحسين، تدعو قلوب الأمهات جميانة وجيهان أن يحفظ لهما كل الأبناء، العيون على السماء تناجى إله الكون، فلتبارك يارب أبناء الوطن الطيبين، عهدنا أمامك يارب ألا نخون.

وأن يظل العلم فوق الرؤوس مجدا وفخرا، فلنعد صياغة

الأحــلام والصــور بجبــل الإيمــان، بــالعزم المقــدس، بالقصــيد وهوسلاح الأقوياء.

فلنترفع عن البغضاء، نطوف بـالأرض يـدا بيـد، نـزرع القمـح والخضار فى كل الربوع، نطعـم العصـفور، بقسـماتنا نـور مشـرق الآلاء، فيزهو بنا الزمان عزا وسناء.

يا إمام.. ألهمتنى الكثير لأمضى إلى الصفحات أسقيها بنفحات النسيم، كم كنت كريما ودودا، منك القوة عندك الاحتواء، يا طيب.. طيب الله حياتك، ياكف تحنان يحن للمسها الفجر.

وبعد كل هذا العطاء الطيب، لم يكن بوسعى إلا أن أجمع الورود كل الورود من حدائق الضحكات، أهديها إلى الساكن فى الأحـداق محبة وعرفانا، لم يكن بوسعى إلا أن أغزل من البحور والقوافى أبياتا من حرير، ياهبة الله عشت فينا آيات الحب، يا أحكم الناس قولا فيما نشهده، إليك شهد الدعاء عذوبة وصفاء.

يا رفاقى.. بين النخيل والكروم أطـالع النـوارس فى عنـاق مـع البحر، والحمام من الأجنحة يصنع أقواسا من خمسة حروف، فـإن أجدب العمر فى كفى، وإن تهت عن الدرب، وانساب الدمع كطيـر غريب، إن جف النهر فى الزمن الردئ، سوف أصافح بالطيب جمال الكون مـن حـولي، سـتعرفك العصـافير حـين تحـط عـلى الأفنـان

فتسترسل بلحن من أهازيج، فتضحك الدنيا بنشوة العيد.

يا ثمرة أينعت فى الكرمة عناقيد، سنظل نحلم بأرض تضم الجميع، تحمل آيات الجمال من القرآن والإنجيل، تأوى الطيور، تسقى النخيل مع الضوء البهى، فى الربى سحر الحروف، الرضى والمنى وبراءة الطفولة، السكينة واللحظات النبيلة، كلها بالطيب تصبح الحقيقة.

ألف
لام
طاء
ياء
باء



الألف

أُقبل على الدار، أُقبّل هذا الجدار وذاك، أمضى حيث الإمام الطيب الأصيل، وعلى جذوع الأشجار أرسم علم البلاد، على محياه المح ابتسامة ربيع، من ثغره الحنون تخرج كل الحروف منتقاة، أُقبل على الدار فأعشق الضاد، أنسج من عبير المسك شلالا طيب الأشعار، من وحي الفجر الندى وخمائل اللبلاب أرسم السواقى بالمحبة تذور، والهلال بدور وبدور فى السماء.

أهلل ياليالى العيد أقبلى، دعى العصافير تحوم كما ماشاءت، حرة تمرح فى الآفاق، فى جنح الدجى هاهو سفينك ياطيب يشرق يتهادى، محملا بالحنطة والأطياب، يحدد بالقلب السليم إلى أين المسار، خبز وملح وقنينة تحمل ماء زمزم، ظل ظليل، هنا حب ثابت فى الضلوع فننشد على هديه البقاء

اللام

لحظة فريدة، ليلة بهيجة، لحن الملائكة يرن صداه فى الأفلاك، نداءات طيور وحبور ودلال، كل هذا حين أزرع من قنديل شوقى،

قصيدة من عزم ومجد، للطيب صورة فى الأعماق، حين تعانق كنائس المدينة المآذن، وصلاة تجلو الأعماق، تضيء خيوط الظلام حين تتعثر الخطوات، نراه فى الشفق القرمزى على ممشى النيل، أزهار الربيع، نوارة القطن، فى اشتياق المصابيح للشهر الفضيل فى الجامع الأزهر، اشتياق الحمام للأيك بليالى الصفو، جمال الخميلة وماء الغدير يسيل بحب فاض عن حنايا الصدور، يا إمام السلام، يا من تصون وحدة عمرها أكثر من ألف عام، أما صخب الرياح فلن يهز مصرنا، لا بديل عن العيش معا فى الظل الوارف، الزهور حولنا، نقبل بعضنا بعضا بقبلة مقدسة، تحفر الأنامل القلب الطيب على الشجر، على الصخر والمجداف، فلنهلل للزمان السعيد

يابشير المنى.. اليوم دعوة للفرحة بالضفة الخضراء، تحيطك الملائكة والأنوار.

الطاء

طريق مزدان بالفل، وبريق يروى الزنابق ذهبا، طيف من عبير الأيام له ألف لون ولون، وهلال يسعى للاكتمال، نهر بعذب الإحساس ينهمر.

يا إمام.. يامن تنزع الأشواك وتطيب بماء الورد الجراحات، حتى إذا ماحل الخريف تبقى أوراق الشجر، هنا سر العبق، قيثارة الألق، شمس النضار

عصافير على شجر البوح، شعر من عالم الحسن، قوس سحاب فضى رسم الطيب بقلب من ماس، وإطار من لؤلؤ وذهب، فأرسل النور أطيافه كالشعل.

الياء

يقينى يا إمام السلام أنك بالحق تداوى الآلام إذا عصفت بنا الخطوب، والدمع فى المآقى حبيس يكوى الروح، إذ يدعونى للرحيل من يبغون موطنى خاليا من شعري، من ولدى والحفيد

يارفيق البدر نراك ثرى البلاغة، عذبا نبيلا، تحتوينا أنسا وظلا، فترويناا من الكوثر السلسبيل، لا تلوذ بالصمت والنار تحت الرماد تكاد تشتعل. أنت الأوفى فى زمن الأحجار وجبروت الكلمات، علمتنا كيف نرقى بوجداننا، نسعى إلى مستقبل أكثر عدلا، رغم عثرات الطريق، وفى حب مصر أنت الفكر المستنير، الرأى اللبيب، وإذا خطبت فحانيا على القلوب ومؤثرا

فلتبق حكمتك الأصيلة بيننا نورا يشع تضمه الأفئدة، يامن تترفع عن اللغو والضوضاء، يانسرا فى العلا ونجمًا في السماء، علمتنا كيف يكون منطق الحكماء، وكيف يكون القول والإصغاء.

الباء

بهاء طلتك، بشاشتك، بشرى للبلابل والفراشات، للأطيار فى كل واد أن تعود بإشراق جديد، اليوم مشى الحسن حولك، من نبع الجمال شدو الأمانى، صدى الوحي من رضى الرب، الشمس تلملم ضوءها الحانى من وراء الليل، يابشير الحب، فأمسى الورد فى جبين النجم اللجينى بالشذى يعبق

أيها الشيخ الجليل، ياللعذوبة، أى قيثار شجى فى الليالي القمرية، يا أكرم من رأيت، سوف يظل عطاؤك فينا الملاذ يجمعنا فى زمان الشتات، نستند بك على جبل أشم، يا طيب.. ستظل خلاصة جهدك فينا أملا لنرجع أمة عظيمة، بالحق والهدى نرعى مواثيق الوفاء

يا لك من وداعة حين تمد راحتيك بالغصون، فتبعث روح

الإخاء والسلام، تلهمنا القصيد، الشموس فى غبطة، والبراعم تتفتح يامصر، فتشخص الأبصار نحوك، الطيب أنـت وأنـت، ياكـل أيـام الرضا والنور.

(القُرنة)
مهد الطيبين





قالوا: هذا المكان يطل الفجر عليه من أغصان أشجاره، يقبل أنداءه، هواؤه دافئ، أرضه سلسال خير ومحبة، ينادى: أيها الجموع تعالوا للضفاف فكل شىء فيه مسرّة للعين، تعالوا عند الشروق وفى ليالى القمر حتى السمر.

هنا الماء الزلال والبدر طول العام، من يأتى إلى هنا لا يبغى الرحيل، بعد أمنه من خوف، يهنأ بصحبة أحفاد الرسول (عليه أفضل الصلاة والسلام) فيمرح مع الكروان، الشاى دون سكر كالشهد، صاف كصفاء الروح.

في النهار تهفو القلوب للشدو والإنشاد، حتى إذا لملمت الشمس ضوءها، ودقت الساعة التاسعة، سطع نور من بدائع الإله فى الساحات، لاصقيع ولا حر تنهيد، لاخريف ولاهجير

الكل يرتدى سترة الربيع، البحر فى سكون، والمجداف احتواه شراع الرجاء، قلب الملاح مطمئن فالكون أمان، يالبهاء السماء تراها جميلة وقد رصعت بالنجوم، والطبيعة تراها تنتشي ببساط سندسى عجيب.

قلت: تتحدثون عن الجنة؟

قالوا: جنة الله على الأرض بالطيبين أب عن جد

قلت: فلتزودونى بالعنوان لأروم هذا المكان، وبعدها أصدقكم القول

قالوا: يامريم الطريق إليه معبد بالمرمر، على جانبيه القرنفل والنرجس، الياسمين وشقائق النعمان، الفل ودوار الشمس، الأغصان تسبح ربها، ومن قال إن البنفسج الحنون زهر حزين؟ شمس الغد تعود بالحلم، وجوه من ضياء وصحبة تبهج الأيام، النخيل شامخ يزهو بالرطب، فكلى منها وقرّى عينا، تذوب مرارة الأيام، حفنة للصغير يضعها بجيبه وقد أحب أقرانه دون تمييز

قلت: ماذا عن البدر يارفاق؟

فساد صمت طويل، لكن العيون فى ليلة العيد تشتهى شقشقة الفجر الضحوك

ثم أردفت: سأظل أرقبه من بعيد، وكلى شوق لمعرفة سر الحروف الخمسة ولون الحرفين.

قالوا: هو ربان السفينة فى هذه الجزيرة على كوكب الأرض

قلت: ربما أتوه عن العنوان ولكن كيف أعود أدراجى يا أحبائى؟

قالوا: لن يضل الطريق من سار مع الله، من يقطع المسافات من

أجل الخير، وإذا صادفت تعاريج الطرق، فيد الربان للسفين ميناء نجاة، هيا ولا تبطئى الخطو فيبدأ الميلاد، خير الكلام ماقيل من الطيب.

قلت: أنتظر انتصاف الشهر ليكتمل البدر، أنتم لاتدرون أننى أحاور دوما مصدر الإلهام مع الأنسام؟

قالوا: البدر مكتمل على مدار العام، فى الأماسى نبصره، فى الفجر يحنو على الزرع، يسقى الشجر بماء الورد، الغزلان منه تقترب، تتدلل، ترجوه عشبا نديا لا جوع بعده

أما الفراشات الحبيبات فتتجمع حوله، بألوانها الأحمر والأزرق والأصفر والأخضر أما الأبيض فهو الفل زهر الحياة المرسوم على شكل قلبه

من الفل نهدى الباقات فى مواسم البهجة والنضارة، يربت على أكتاف الجالسين فى الدار يشكون المظالم والبرد، خبز الكفاف لايكفى والأقداح نضبت، فمن سواه يروى ظمأ المساكين؟ من يبتاع حليب الرضع والصغار؟ من يهدئ روع الخائفين اليوم، والغد كالسيف لا تلوح نهاياته؟

قلت: كفى ماضاع من الوقت، بين يدي بساط الريح، لم أجلس

عليه ذات مرة، فلم أكن بحاجة إليه، رغم عشقى للطيران على متن السحاب بصحبة القرطاس والقلم.

وكم حلمت بجناحين أسابق بهما كل طير، تسبيح الملائكة فى الفضاء يبهرنى، سكون يدعونى للتأمل فالإبداع فى الأصل كان تخيلا

فأحلق فى الفضاء تارة، أجوب الوديان وأشمخ جبالا، أغوص بأعماق البحار وأعانق الغمام تارة أخرى، فى الواقع كل خطواتى على مهل، لكنى أرى الأرض أمامى تخلو من الجنات، الأرض تعج بالعنف والبغضاء، الحروب والدماء فى كل البقاع؟

لم نعد نفهم من مع من؟ ومن ضد من؟ لماذا يصنعون السلاح الذي يمزق الأبرياء؟ لماذا يزرعون الألغام ويتبارون فى الهدم؟ لماذا كل هذا الشر؟ لماذا وقد خلق الله الناس فى أحسن تقويم، الله منح آدم العقل ليتخذ طريقا معبدا للخير، يرقى ويسمو فوق الصغائر، يسامح، فيحصد ماغرست يداه.

قالوا: مازال الخير فى هذه الأرض، الحب فيها سر الوجود

قلت: الحب ... ماأروعه لكن إذا فقد الصدق، تحول إلى غدر، كفانا الله شر الغدر

قالوا: سافرى ماشئت إلى موطن الجمال وبعدها لكل مقام مقال

قلت: إلى اللقاء

يوم، يومان، ثلاثة أيام، أسبوع، أسبوعان، وكلما اتخذت قرارا بالسفر، أجدنى وقد تراجعت خوفا، لماذا الخوف؟ سألت نفسي فهدانى تفكيرى أن هذا الخوف شيء طبيعى، فزيارة أرض الطهر ليست بالأمر الهين، لكن بعض الهدوء بدأ يتسلل إلى روحى، وأطلقت لقلمى العنان يسترسل: ياقبلة الحب النقى، كيف تكون إليك رحلتى؟ وبت ليلتى ساهرة، وكلما حاولت أن أغفو أيقظنى البدر برفق، النور فى المآقى نعم، لكنى بلغت حد السحاب دون قنديل ياالله إنى أخشى رهبة الفضاء العلوي دون الحمائم فمن يرشدنى الطريق؟ ورحت أسائل القمر لماذا باعدت مسراك عنى؟

أخشى القيد يثقلنى والعبرات تسكن روحى، فانزوى لا ظل ولا ماء، ترى هل أنا فى حلم؟ أم اضطراب المشاعر مما سيبهر عينى وأنا أقبل على حب تجلى يملأ الدنيا شفاء

هى مشاعر لايتحملها قلبى البكر؟ أما البساط فقد زها بلون انعكس على فؤادى فزاده انتعاشا، ورحت أشد الرحال للأرض البعيدة بالمسافات، تهادى الزورق فى نيل الوفاء، فباتت الأمواج كحضن الأم، هدأ روعى بذكر الله فليس للعبد إلا الله عز وجل

كنت أرقب الزورق وقد راح يذكرني بجندول فينيسيا التى عشقتها، تلك المدينة الإيطالية الساحرة، شدو عبد الوهاب ورائعة «على محمود طه» ابن المنصورة وأنا منها، يقول فيها:

أين من عينى هاتيك المجالى   ياعروس البحر ياحلم الخيال

أين عشاقك سمار الليالى   أين من واديك يامهد الجمال

على البعد تراءى لى التاريخ العبقرى، وادى الملوك ووادى الملكات، بهو الأعمدة بالكرنك، طريق الكباش، ياالله .. ماهذه الروعة؟

«طيبة» العراقة: لها نصيب من اسمها، هتف قلبى لها، ياموطنى إذا خبا المصباح فتهت فى الزحام، يادار الرياحين من قديم الأزل، جئتك هربا من وادي المحن، هنا القيثار يمزج الألحان فيشدو بالألق، جئت أشرب من واديك شرابا حلو الرواء

أبغى كف تحنان تزيل عن عينى غبار العتمة، «طيبة» طال المسير بلا ملل، فالشوق إليك يفجر عنفوان المشاعر، فأبوح بالشعر والنثر.

نيلك مأوى السنابل العطشى للرى، فلنصنع خبز الحياة، «طيبة» نقشتك فوق أوراقى مواعيد العشق المختلف جدا، يالجمال النقش على الأحجار، هذا النقش يضىء كل حروف الصمت، وبيوت

يقطنها المداحون والشعراء.

رفت بك روحى ياطيبة كلما اقتربت من ترابك الدافىء، شجو المساء بالفؤاد يسكب أبياتا من حرير، حلو النغم مع نقر الدفوف، نطوف بأسوار الخميلة، وكنوز تنادى: هنا كل فن بديع.

آن الأوان للشدو ياليالى البهجة، فعودى بالأليف إن رآنى وضحك النور، ضج العالم بالتصفيق لمدينة المجد والفخر، «طيبة» منك كل طيب وأصيل.

رويدا رويدا رسا الزورق على الشط الآمن، فمددت يدي لبساط الريح، وقد بدا عطوفا على قلب تسارعت دقاته، أرجوه ألا يسرع الطيران، فالقلب المرهف من الفرح يعاني.

أرجوه أن يسير الهوينى، كى أمتع ناظرى ببحيرة الوصل، فالحنين الآن بات أكثر من أى وقت مضى للحسن والرحيق الخالد، للسحب العابرة، لأقداح الشاى وتغريد البلبل.

وقبل أن تطأ أقدامى دار الحكمة فى الصباح الباسم، مر بى يابساطى الأخضر على إلفين أشرق بالنور وجهيهما، وفى جنح الليل أقتفى وإياك آثار طيور الحب فى الربى النشوان، فلنصافح الأيام لحظة تحقيق الأحلام.

حلقت وإياه وقد امتدت يداي أستند على جبال حولي إيذانًا بقدوم إمام المودة بقسمات وردية، حلقنا ألف عام فغادرتنا الأشجان، أروى الزنابق وكل ألوان الورود، أبتهل إلى الله أن تظل مواسم الحصاد مدى الدهر، أنسج من الأمانى بريق أحلام اللقاء.

أدعو أن يظل بقائي هناك، عبر أغوار الزمان، هناك فى دوحة العشق الصوفي، هناك يامعبر الطير المهاجر فهذا موطني.

وراح بساط الريح يخفف من سرعته ينبئنى أننى بت على مقربة من راعى الحب فى دار الأمان، حلقت ربما المتاريس والحصون، القيود والحدود والقلاع تمنعنى من الاقتراب.

سؤال فرض نفسه لماذا هذا الهاجس المريب وبينى وبين من فى القلب موئله خطوتان؟ ترجلت وعينى إلى السماء وقد شعّت بالضياء يابسمة القدر.



البيت الكبير



(القُرنة) كان أول مالفت نظرى فى (القرنة) الإحساس بوجود الملائكة حول البيت الكبير.

تخيلت مَن يهاتفني: لا عليك يامريم إذا حلقنا صوب الشهب، بعد قليل إمام الدنيا والدين على الأرض بين السّمار سوف يجلس، وقد دانت لك اللحظة الطيبة. هاهى العصافير تتهيأ لمعزوفة الجمال، من بستان الأشعار قلائد بها ترتوي الروح بنفحة الإيمان والطهر وعشق كل جميل، الشوارع والبيوت طغت بالحسن، الثمر الشهى، الزهر والكروم من بديع صنع الإله يشتهيها كل ثغر حنون، الوجوه كلها تحيي كل غريب، تحتويك، لفتنى نقاء السريرة، وعيون بالدفء تحتضن كل عابر سبيل، لا تسأله من تكون وبأى دين تدين؟

هؤلا الناس للوهلة الأولى يشعرونك أنه قد طال انتظارك فى دارك، وبدون استئذان يسكنوك القلوب، وإن ساد الصمت فالابتسام عنوان، فالحب فيهم متوارث عبر القرون،

سألت: بيت الطيبين هذا الذي تتجمع الأنجم فى ساحاته؟ أم ذاك الذي تجمله بالعطر الورود؟

فأجابوا: كل بيت هنا طيب وأصيل

قلت: جئت للبيت الأم، أزور الأهل وذوي القربى، أحيا بينهم ساعتين حتى إذا

ما انتهيت من الزيارة ألتقط بعض الصور بين النخيل وشجر التين

عدت لزيارة العائلة الكريمة، فمن يدلني على أقصر الطرق؟ جئت على بساط الريح يلفني الصقيع، والآن أبغى الدفء وفنجان قهوة سكرها بالطبع قد يزيد، أبغى الجلوس في معية الكرام ولو القليل.

قالوا: هذا الطريق المستقيم، فلتمشي فيه حتى إذا مالاح البدر في تمامه، وعم السكون كل الأرجاء على اليمين، ستجدين بيتا يشع من جنباته المسك والعنبر، البخور والعود

وأجمل ماتصبو إليه العيون، فإن شئت تنادين فقولي: ياأهلي الطيبين، البيت مفتوح للزائرين على مدار اليوم، طول السنين حتى إذا ماأرخى الليل ستره، هدأوا من خطوهم، وإلى أعشاشها تعود العصافير على أمل العودة بإشراق جديد

قلت: أنشدكم الدعاء وأنا أرنو نحو البيت العريق، هذا الحلم لم

يكن ليتحقق إلا بمشيئة الله حين أمر أن تكون وجهتى اليوم تحت النجوم، فى الواحة العذراء، فسحر الأنداء خلف القباب لوحة فنان رسمها بانسجام من خيال «دافنشى» أو «فان»، أبدع فيها وصور فارس النبل الكريم

من فاز بحب كل الجموع، تهفو له القلوب بالفرحة، الساكن بالأرواح والفراديس، نسر فى العلا لكنه فى رقة النسيم، «القرنة» آتى إليك يابسمة المنى، ومنزل الروح الأمين، ملء خاطرى لحن وإلهام وروائع القصيد

قالوا: تستغرقين كثيرا فى التفاصيل

قلت: ياقوم.. التفاصيل تُعبىء روحى الظمأى لأنضر الأزاهر، يالروعة الدنيا وأجمل البشائر، والآن دعونى أدق الباب، فهل هذه حقيقة أم خيال شاعرة من قوم عيسى عليه السلام؟

قالوا: وإلى أن نلتقي مجددا، سلام على هالة النور من كفى الطيب، سلام على آل البيت كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة صباحا.

وشعرت أننى أعانق بهو الزمن، من ظلال الحب أنسج ثوب

الأمل فى حديث شيق، ياصباح الـدنيا الجديـدة، ياصـباح الجمـال والطيبة، كم حلمت بأرض تضم الحيارى والمعذبين، تأوى الطيور وتسقى النخيل، فإن أجدب العمر، بالحب يمتـد الصـبح، بأزهـار العرس

وحينما اقتربت من الباب رأيت أعدادا غفيـرة مـن المريـدين، شبابا وشيوخا، سيدات يحملن الصغار

وفى المقابل أعداد أخرى تستقبل بحفاوة كل الضيوف، ليس عن جود وكرم أخلاق أهل الجنوب فحسب بل لأن الحب فى «القرنة» نبراس الطيبين، اللقمة الهنية والشراب الحلو من نعم الإله، فلتقدم لكل عابر سبيل

-سلام على دار الغاليين، عمتم صباحا

-وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، قالها رجل تتجلى السماحة بملامحة تبدد ظلمة الأيام

-جئت ليس من أجل الخبز والماء، غذاء الروح يصب فى كفى نهرا، يورق أنغامى شعرا، جئت من أجـل نفحـة الزهـور وجـدائل الضحكات، من أجل اسم يعبق بالأصالة، قاموس المعانى الحرة من

الألف الى الياء

-أهلا وسهلا.. لكن الآتى إلى الساحة، له علينا واجب الضيافة، فتلك هى العادات والتقاليد، ثم قلت لنفسى إن الإصرار على واجب الضيافة ليس فقط لكرم أخلاق أهل الجنوب، ولكن للعيش والملح معنى عميق لا يدركه إلا من عاش فى حومة الطيبين

-ثم أردفت بالتأكيد.. لكن من فضلك زودنى بالضوء الأخضر، ودعنى أتعرف على الأهل، أسير بالمكان الذي أنجب العالم الجليل، أحيا الطقوس بأثر رجعى، هم لايعلمون أننا أقرباء، لكنى سأسوق لهم الدليل، وبعدها لكل حادث حديث، سوف ألتقط صورا للمقعد الذي جلس عليه الطيب، صور أشجار النخيل من بستان الحب، وأنا من أوزع الرطب على كل البشر، أكتب أنشودة لليمام ثم أقبل رفيف الهواء، عظيم الامتنان لبساط الريح الذي أتى بى إلى مملكة الفرح، قل لهم على الباب «مريم»، أتت دون موعد، فهل كنت بحاجة إلى جدول وموعد يا أشقائى؟

-جميل كل ماتقولين، لكن الشيخ الجليل متعب من السفر، ولن يتمكن من استقبال الضيوف قبل التاسعة من مساءهذا اليوم

-لم أكن أدرى أن مولانا هنا اليوم، ياللحظ الرائع أخشى طلة

الحسد، الله عليك أيها الرجل المسن الجميل، أسعدتنى بأحلى خبر، ثم بدأ لحن الروح يسرى هادئا فى القلب، يسكب حنانا قزحى القطرات، تعانق طيورى أزهارى، يامن فاضت أنهاره بأفكارى

-فى انتظارك عند الثامنة

ثم بدا لى بساط الريح أكثر دفئا، يميل نحوي ليهمس فى أذنى، أنه جاهز منذ الآن للطيران وإلى أن يحين اللقاء الطيب، فما عليَّ إلا الانتظار ريثما أبوح بما تكتمه النفس دون رياء

فكل الأشياء مبتورة أطلال ركام فوق ركام، فى الخفاء وخلف الستار ماجرف قلمى ياطيب، مزقت أوراق الأمس عندما انفرطت حبات العقد

وكنت أظنها من نبضة العشق، فهذا أوان الشوق، ربما يغشاه الموج فى الغد، جدرانى تصدعت، أحتمى بالشعر من أشواك الأذى والحقد الكامن إذا انطوى طيب الزمان، ولم يبق إلا الوجد والحسرات، خاننى البيان وصار بداخلى النقيضان، أغزو السحاب كلما دنا الموعد، وأخاف من إعصار يتقاذفنى فى عرض اليم، فالريح تعصف والشراع تمرد، مر بعض الوقت، وأنا أحاول ألا يترك المنافقون فى قلبى بصمة سوداء، تلقينى بلا انتهاء فى محطات الغربة،

والنار بين جوانحى فى غابات الشوك تدمينى، وبدأت أستعيد روحى عندما دق الهاتف، وكان الطيب هو المتحدث:

-أهلا مريم أين أنت؟

-أكاد لا أصدق، سعادتى اليوم تفوق الخيال يا مولانا، جئت لزيارة بيت ينشر عبيره في الأرواح، قناديل الفكر والأدب تصب رقراقة من هنا، تصد عاتيات الرياح، بيت أستمد منه قطوف الشعر.

جئت ولم أكن أدرى أن البدر قد اكتمل اليوم

-البيت مفتوحا لك فى كل وقت

-لن أطمع إلا فى خمس دقائق، هى عمر السلام والبركة، وصورة أحرص عليها كلما التقيت بسليل آل البيت.

فى تلك الأثناء كان بساط الريح يهلل طربا، الآن بات علينا العودة للقاء طال انتظاره، وصلت إلى بيت العالم الجليل فتملكني إجلال كبير، أقول لنفسى يا إمام: أنت فخر للناس، وأكبر فخر للأرض ممشاك فيها، وبكل التواضع والخلق الرفيع كان جمال الاستقبال الذي جعلنى أتحرر من عبء اللحظة، من التفكير فى كل حرف قبل النطق بالكلام، فأنا فى حضرة أحد المحافظين على أصالة

الفكر العربي.

وشعرت للوهلة الأولى أننى أجلس مع كـل النـاس فى شـخص فضيلته الكريم، فهو الأستاذ والأب والصديق، هو صاحب الوجـه المشرق والقلب الوضيء بهـذا الكـون، إذن لا مجـال إلا أن يثمـر اللقاء عن مزيد من المودة والتقدير.

-سعدت بزيارتك كثيرا يا مريم، اليوم لابد أن تشـاركينا طعـام الغذاء.

-جزيل الشكر ليس على كرم الضيافة فحسب، بل عـلى اقتطـاع جزء من وقتكم الثمين والذي هو من حق الأبناء والأحفاد، ومعذرة إذا كنت جئت على غير موعد لأستقطع بعضا منه، وفرصتى اليوم من الصعب تعويضها يا مولانا، فلتأذن لى أن أستغلها فى الغذاء الأهم من الأكل رغم أننى فى قرارة نفسي أتوق للخبز الشمسى والعسل، غذاء الروح وأسئلتى التى كانت ومازالت تدور بخلدى، جمعتها منذ سنين لأطرحها اليوم على العلامة القدير.

-ليس قبل فنجان الشاي

-ماذا تشرب فضيلتك؟

-قهوة فقد سبقتك فى الشاي منذ الصباح الباكر.

-إذن فنجان قهوة مع فضيلتك، مدى الدهر يبقى حلوه فى الشرايين، مع الإمام أنت فى حضرة نور ورثة الأنبياء، فى حضرة الوطن، فتحار الحروف أمام بريق الجواهر واللآلئ، تنسج من عذب حديثه أجمل هدايا العيد، السعادة تسامرك فى حضرة الإمام أيضا، تكسر أغلال الحديد، تحطم الأسوار، فقد كنت تركض بين جدران السراب، تدفن رأسك فى ترب باهت، تناجى الدجى من جبروت الكلمات، تتساءل من سرقوا الوجدان مخيبى الآمال؟ لماذا يصرون على مصادرة حق عينك فى القدرة على الدموع؟ أسمع صوت أقدامهم أعداء يباغتونك بالنصال، فى الأعياد يحولون حياتك إلى جحيم، فتصبح الأيام وشما مهجورا، نقشا باهتا، ذكريات كلما تجددت، صرخ الفؤاد غدر من ظن أنهم الأوفياء، فرت الدموع من عينى كالأنياب، تغرس سهامها فى الضلوع، بكيت العصفور فى مواسم الرحيل، أعجب من كل متكبر جهول، كيف يبغون أن أحنى هامتى بإرادتى، فتضيق أرضى بما رحبت، وإرادتى ياطيباً من فولاذ، لن تنحنى إلا للإله الواحد، هم يبغون أن أكون أسيرة السجان وكل من يمتلك الزمام، من أجل ماذا الخضوع؟ من أجل ماذا أحترق؟

القيد يقطع أنفاسى وأنا حرة، ملكى كل الكون، تُورق فى عينى الحياة كزهر الربيع، يحيطوننى بالخوف كى أصبح أشلاء كيان، بيتى أطلال، وعندما يأتى المساء تبلل أدمعى حشو الوسادة، أحتضن السراب والكآبة، مكسور جناحى من قصف الرعود وهروب الحنان والحنين، لا أرسم القلوب إلا على رمال، كُسر مصباحى، أعاني عُقوق الغصون، فترتدُ الصرخاتُ بلا صدى، أتناثر شظايا تشتعل بالأحشاء، أحاسيسٌ مبهمةٌ بين الثلج أحيانا، وفوق النار أحيانا أخرى. تجذبنى الأفاعى من ضفائرى كى أنزلق نحو القيعان، أشباحٌ تتخبط، تصنع ممالك من الفرح الغامض، تنهشنى الحيتان، كأشجار البرّية لاروح فيها ولا مذاق، عدت بالذاكرة أبكى النورس الجريح يانيل.



كلام من القلب أشبه بالبوح



فمن يشعل اللهب ومازال يسلبنى الأمانى الحبيبات؟ من يجلدنى بسوط الشيطان؟ فلا أردد إلا أنشودة الشجن، وموجا به يغرق الزورق، وكهفا وبرقا فتغيم الرؤى، مذبوحة فى الحل والترحال؟ وتبحث شمسى عن جبين فيخدعها بهؤلاء لا تشرق.

من زرع بالفرح المسامير فبات قلبى من الأنات يرتجف معذبا؟ صرختى مكتومة كبركان احتجاج أخرس، كالريح إذا جنت، كالرعد يقصف فى غضب، من يصب ماء النار على نقش الحناء فى كفى وأنا أقرض أشعارا خضراء؟ أغلب الظن أنهم والحواة توأم

من أجل هذا أسألك يا فضيلة الإمام كيف تتساوى السماحة والمكر في الإنسان؟ إني أعاني إرثا من البغضاء جديدا عليّ، يقولون مصيرك الجحيم، الجنة منك براء، فصارت قصائدى ثكلى، أضعها بجوف الصبر والأحزان، تعصف بالفؤاد مذعورة الأبيات، نحتت فى أعماقى عتمة الخذلان.

وصرت أمشي منفردة، تقرع سمعى طرقات العزلة والغربة، تسحقنى الأشجان، دون كسرة خبز، حافية القدمين، أجهش فى بكاء مر، النهار استوحش، ترانى أعقد كفى، أترنح من فرائس ليل حولى تنتشر، أبيت على صخر الرعب والقلق، أما جبال الأرض فتستقر فوق جدار القلب الممرق، بالقهر يعبون خزائنى، صرت بلا هوية،

بلا ذاكرة، فهل ينكرنى الوطن وأنا ماخنت العهد من قبل؟ جف النبع وسقطت كل الثقة كأوراق الخريف، أتوه فى الأيام قسرا، أذوب دهرًا.

وأنا بلا رفيق، بلا سكن، أتجول فى أرجاء الصفحات كالغرباء، أمست أشعارى أوراق صفراء كأوراق الوصايا، ألفظ أنفاسى، أنصهر كالشمع، الحزن فى الأجفان، يطوقنى اليأس البارد، أتمدد فى محراب الوحشة كحروف جفت، كلما غفوت أيقظنى الجرح فى عالم هو للتعاسة موعد، فمن أباد الأوراق والمحبرة؟ فوا أسفاه على الأعمى حين تنكسر عصاه! لكنى مازلت أقاوم، مازلت أحارب من غير درع، من غير سهم، بل بالكلمات، لكنها ليست الجوفاء، والأمل، بالموسيقى وأنشودة الوادى، سأظل أنا الحب دون زيف، أترقب الغد الكامن فى رحم الغيب، أكون النهاية فى أول السطر، وأصبح البدء بعد نهاية كل الكلام، أفنيت عمري فى بسط الجمال والصفح شعرا ونثرا، مالى والتعصب والحنق حين ينخر فى العظام، ياالله رحماك يوم الحساب.

هكذا أفضيت للإمام بالمطر المحبوس منذ سنين، وأنا دون معطف، دون مظلة والبرق المخبأ فى عباءتى، كم أحرق ستائرى، وبينما كنت أحكى كان فضيلته يصغى إلىّ باهتمام كبير، ومن المؤكد

أنه شعر بحاجتى إلى أكثر من فضفضة، فأزاح فضيلته عن كاهلى أحجارا تنوء بحملها الجبال، وأنا لم أطالع ولو لمرة واحدة ساعتى، كل مايعنينى أن أغادر جزيرة السلام، وقد طاب الفؤاد مما أصابه فأوشك على الهلاك، بل على الموت، وكأننى وجدت ضالتى فى الطيب. ثلاث ساعات وفضيلته لم يشأ أن يستوقفنى، وماإن انتهيت حتى قدمت اعتذارى، قلت أنت الملاذ الآمن يامولانا، ألست على حق؟ لمن أبوح بكل هذا؟ فلتكبل مخاوفى، إننى أرفض أن أكون سخرية العيون، علت البسمة وجهه ثم قال:

القادم كله أحلى، القادم بإذن الله تعالى خير وفير، الأمل فى الله كبير، الشاعر إحساسه مرهف يتأثر بصغائر الأمور.

لا أنكر أنه يدري جيدا حجم الألم الذي نعانيه، لكنه أراد أن يطبب الجروح قدر المستطاع خاصة أننى أحل ضيفة عليه، وهو الكريم الذي يدهش البشر فى صفاؤه، آفاقه رحبة، هادئ الطبع والحوار، وطنى، لا يعترف بكلمة الأقلية أو الآخر، للمسيحى كما للمسلم كل الحقوق، أول من يتقدم بتهنئتنا بالأعياد، وأول من زار المصابين فى حادث البطرسية، بعد عودته مباشرة من رحلة خارج البلاد، وقدم تعازى الأزهر الشريف فى الشهداء المصريين، كما أوصى بالاهتمام بمهجرى العريش، فمنح بعض الأسر شققا سكنية،

مساهمة فى التخفيف من حجم الأضرار التى لحقت بالأسـر جـراء الإرهاب الغاشم، وذلك إيمانا منه بأهميـة الوقـوف إلى جـوار كـل مصرى ينادى باحثا عن معين ؟، فليس هناك بين الشركاء أى تفريق، ثم أردف: يامريم.. عليك بالصلاة، فى الصلاة دواء يشفى النفوس، الثقة والإيمان بقدرة الله على بث الطمأنينة، لهما مفعول السـحر فى عودة الإنسان إلى جادة الصواب.

قلت: لم أخطئ يامولانا، أنا المجني عليها.

قال: فلتحاولى أن تنسى الألم وأشواك الأذى، غدا ستزهو الواحة بين أغصان الربيع، سطرى شعرا للفجـر الوليـد، أو قصـة للعشـق الطهور، لا تحجبى الدفء فتهزمك النيران، فحب الخالق يكبل فى الوجدان الخوف.

قلت: الآن عرفت لمـاذا حرصـت عـلى المجـئ، فى حضـرتك تطمئن القلوب ياشيخنا الجليل، فالأمان قبل الخبز دائما، فالطيب أنت وأنت. أتأذن لنا بصورة فوتوغرافية ياعالمنا الجليل وبيننا هذه المكتبة العامرة بأمهات الكتب؟

رحب كعادة أهل الجود فقلت:

شرف لى أن أعود إلى صومعتى بهودج عطر، لينتشى قلبى فيرقى

بالشعر، فيصنع من حروف العطف أيقونة النور، أعود وقد طويت اللون الرمادى الكئيب، وفي نهاية اللقاء ودعت فضيلته على وعد بلقاء جديد، بين أشجار النخيل فى الفضاء الرحيب.

لكن الأشرار يأبون أن أهنأ بهذا اللقاء العبقرى، عز عليهم دق النواقيس بالفرح تجوب قلبى، أقسموا ألا يرحموا الصغار والكهول، أطفأوا فى العيون كل نور ربانى وهاهى: مأساة يوم الأحد الدامي





مأساة يوم الأحد الدامى



ماذا أقول يارفاقى الآن فالأغصان شاحبة وأنـا لم أقـرأ الغيـب، آمنت بحسن الظن وتركت الأيام تمضي بين مد وجزر، تعب القلب يشكو العناء من عنف وإصرار أن يأتى العيد وأنـا مكبلـة بـأغلال، سئمت ماأبصرت عينى من سيل الدماء.

من جنّد هؤلاء المشغولين بالجنـة والنـار فحولـوا حيـاتى إلى سجن؟ قاتل وقتيل، تتساقط الأعمدة والجدران، تتراقص النيران على أشلاء رأفة الإنسان بأخيه الإنسان، لماذا نودّع الأطفال فى يـوم أحد الشعانين؟

لماذا تلون سعف النخيل بالأحمر القانى؟ تفجيران من وهج الشرر رسما على وجوه المصريين تعابير الكدر والضجر، كل شيطان تصـور أنه بطل، من هؤلاء الذين تمادوا يصوبون خناجرهم فى قلـب مصـر؟ والمسـتوطنون هنـاك فى فلسـطين يرتعـون فى سـاحة الأقصـى، لا يسترون وجوههم من الخجل.

أين أنت ياطارق من الدم المسفوح ؟ أين أنت ياصلاح الدين من الذين يشهرون السلاح فى قلب الجنين ؟

يا إمام السلام.. لماذا القلب تصحر؟ الخريف بات طوال العام، أحيا فى غابة سوداء، والآفاق برق ورعد، تقطعت بى السبل فى الليل وأنا عن دارى أرحل، ياوطنى تملكنى اليـأس وفى كـل مـرة أقـول

لنفسي: كم سامحت، عجبا لهم كم اتخذت منهم صديقا، حسبته أخا شقيقا، فى الضلوع مسكنه، سقيته من الحب رحيقا، كسرة الخبز اقتسمناها، وكتبنا بالدماء عهدا وثيقا، سيفنا ودرعنا هما جيشنا.

أنا وأنت يد بيد الى القدس طريقنا، لكنك فى الدجى خنت الرفيق، صوبت سهمك فوق هامتى لأختبئ، ومازلت ترجمنى بحجر، المخالب المسمومة تنهش روحى، تحط فوق مقلتى، فقدت البصر، خبرنى بالله ماذا جنيت؟

من الصبار أنت أم من الورد؟ قلبك من لحم ودم أم من حجر أصم يهز قلب الحضارة؟ لست أنا العدو تذبحنى، تفزعنى، تسقطنى فيضمنى الأخدود، لماذا تتناسى أننا كنا معا فى حومة النضال على مر العصور؟!

اسأل التاريخ كم من الشهداء تم زفافهم فى عرس السماء؟ اسأل سيناء الحبيبة عن الحب دون رياء، عن العبور العظيم، عن ثورة يناير فى الخامس والعشرين، وعن يونيو فى اليوم الثلاثين، سطرنا التاريخ المجيد أسطورة فريدة.

كيف تأوى إلى فراشك قرير العين تنام؟ كيف والأم استيقظت فودعت ابنها، والإبنة لثمت وجه أبيها، والقلوب انشقت من العويل والبكاء، كل الأشياء تحتضر، الصمت قاس جعلنى أخلو لدمعى،

وأنت تبغي ألا يتوقف أحد عندى يلقى على السلام، فأنشده رائعات القصيد، عن معنى الحب.

لكن بئس الحب ياوطنى إذا هتفوا بالأمجاد والجرح واللهب خلف أصفادى، لماذا يسكبون سترا من الخرافات فأظل رهينة هذا الضجيج، أشكو القلب الخئون، لأرحل عن الوطن فالولد أيضا يرتجى الرحيل، شابت لياليه بعدما أقيم العزاء فى مأتم الزهور، أحلامه زيت على نار وغول، ضج منى وكل لحظة أقول: الصبر ياولدى جميل، لا الظل ظليلا، لا خليل يسر الخاطر، ولا ماء سلسبيل، طعامنا كآبة وذهول، يانيل أين سحر المعانى، أين صدق الكلمات عندما وقفنا على الشطوط نرتجى نصر السماء؟، يانيل ياساحر الموج، أقف وحدى دون أخ، غامت الألوان، لم يعد هناك فجر ولا سحر اللقاء، على كفى منديل بحرفين طرزا بالحزن الآن.

كان الشوق وهما بعدما نما بيننا ظل جدار وشقاء، أراقب البوم والعناكب الدميمة تنسج خيوطها فوق قلبى، أنا من كتبت عن عودة الطيور وانتصار الحروف قصائد الجهاد ضد الغزاة الطامعين في أرضى، أنا من سطرت الهتافات النبيلة للقدس الشريف، ياأخى ماذا دهاك ألا تهتز من أنين الثكالى؟ أما استفاق ضمير فى الجوانح من هول ماحدث فى حق مصريين؟ لكن الشهداء جبل من الإيمان، فى

جنان الخلد أحياء وفى ذاكرة التاريخ نور

يارفاقى..

أنا فى صقيع الكون، أيامى كهذى الليلة الحمقاء، الصراع دونما غاية، المعركة دون راية، فى دجى الصحراء أسير بمصباح نضب زيته، يلفنى كوكب الجدب، تموت القوافى والبحور تلطمنى قالوا لنا: موتوا فيها أحياء، فى الطرقات تعوى الريح وينهمر الأسى فى شفتى، أضيع فى دنيا السراب، خلفى السيوف ولا أدرى أين المسير، تاهت أفراحى، أبوابى مثقوبة، الأتى كله مر وحزين.

ثم قالوا: لن ندعكم تهنئون بأى عيد، لاكعك لا بسكويت، لا فستان للعروس قتلنا العريس، اقضموا الرمل والحنظل وإلى الجزية سوف تعودون، نخبىء لكم الوحوش كى نرتاح، آن الأوان لنوح النساء، آن الأوان لينفجر الصغار فى البكاء

أما أنا فقلت لهم: ياعميان أنا لن أخاف من ألف تنين، إله الكون من يمد يد العون للمحتاجين، إله الكون لن يرضى بظلم عباده المؤمنين، أنا لا أملك البنادق، ولا أملك إلا قلمى يبدأ بذكر الله، يكتب عن أفراح الأصيل، عن الأمل وابتسام القدر والحلم المدخر، يصوغ القصيد عن عصفور مد الطيب يداه، فأنقذه بعدما تقطعت به السبل، «لن أهاجر وأترك عمر» جملة قالها الحفيد بأعوامه السبعة،

ياجدتى.. تلك سحابة تجتاح مصر سوف تمضي، وتعود الشمس تضحك من جديد، تحمل ضوءها الحانى الوليد.

وبينما القلم يسترسل فى مرثيتة التى ربما يجد فيها بعض السلوى، كان الطيب أول من اتصل معزيا والألم يعتصر فؤاده الطيب، تألم على المصريين مسلمين ومسيحيين.

فقلت: يامولانا أنت رغم النوى ملاذ وذخر، وبك العيش يستطاب، بك وبكل الشرفاء الطيبين نصمد للعاصفات، نعلو فوق الجراح، ننفض عن العمر غبار الكيد حتى يتفرق شملنا، فالذئب عن تفرق صياد

قال: الحياة تمضي فلنطوى صفحة الحزن، فالشر بالشرق محدق، ففيم تدمى البلاد وتحرق؟ حروب وتنكيل وأرواح خلق الله تفنى وتزهق، غدا هالات البدر فى السماوات تشرق، يعود الدفء والإشراق، السحر والرونق، قلت لك لن يضار أبدا شعب مصر الطيب.

إمام السلام



وبعدما أفضيت بما فى القلب للإمام، كان لقاء بابا السلام بإمام السلام، فكيف أُغلق الكتاب عن جزيرة السلام دون أن أعرّج على هذا اللقاء الذي أبهر العيون من فيض الجمال، كأنسام صبح، كالسكر فى قهوة الصباح، من منا لم يسحره عناق الفاتيكان الناصع للأزهر؟ عناقا قرّب الخطو وضّاء، يفيض بنفحة الحب المقدّس، كأن أخاً عاد لأخيه بعد فراق، فعلت وجه الإمام الأكبر ابتسامة من الأعماق مازالت ممتدة فى ذرى الآفاق، وكلمات بأطياف السّنا وكأنها أوتار قيثار يرنم وينشد للمنى.

قال: حلّت بقدومكم البشائر فأهلا ومرحبا، ثم أردف الطيبُ الحصيفُ

دعنا على أجنحة الإخاء يكون لقانا، نُحيي الآمال فالدُنا نور وفرح، فلينطق اللسان بعطر الزهر، وتمتد بالسلام الأكف، ليستقى من معين محبتنا كل الكون، من شغاف القلب نتكلم، فالعالم الآن من حولنا يتخبط، من اليتم يُعانى، دنياه عذاب وضلال وسجون، يلهث خلف المجون، فبات يحصد الدمع والأسى والأنين، الأزهر يسعى بالرؤى المشرقة من أجل إسعاد البشر، الدين الحنيف ينشد المحبة والعيش بعدالة وسلام، لن ندع شيئا يكدر بيننا الصفو، من يستبيح الدماء ليس بمسلم، من يشعل النار يصطلى بنارها، فلنمض سويا

نحو نبع الحب، وصوادح تشدو باسم الله فى الربى المزدانة بالورد والنسرين، دعنا للأمانى ننطلق، نسقى الشباب حب الله من جديد، فالنخلات الباسقات تسبّح فى كل حين (الله أكبر ويارب ارحم).

اليوم بشائر فجر لليل طال فيه الوجع والأنين، مصر قبلتنا أخشى عليها من عواصف تأتى بالهواجس والظنون، كم من كنوز فى ثراها.

أهلها الطيبون، ظلها الوارف، وحين نزهو بالأمجاد نقول: بوركت ياموطن الخير والسلام، وطنى الحبيب الذي احتضن كل الأنبياء لن ندعه للطغاة والحاقدين الذين يصنعون آلات الهدم والتدمير، فيحصدون الأموال، والصغار فى جُنح الظلام يموتون.

أرضى التى هرب إليها المسيح عليه السلام وأمه العذراء ويوسف النجار باتت مقصدا عبر القرون.

قلت لمريم: مقدساتكم نحميها، واليوم بهذه الزيارة نكون قد فتحنا كنوزا من الدرّ، اليوم صفحة جديدة طرزت بالحاء والباء، والسلام عنوان فى سويداء القلب، سلام حتى المنتهى، نسعد الله بالخير فى الناس، يقول الكتاب المقدس (أحبوا أعداءكم) ويقول القرآن الكريم (لكم دينكم ولى دين).

يستحيل أن يفرقنا عدو الخير، حللت أهلا ونزلت سهلا على

أرض الكنانة يا قداسة البابا

ليقف البابا احتراما وتقديرا للعالم الملهم قائلا: اليوم أعود أنشد جسرا من الأمانى الحبيبات

يا فضيلة الإمام الطيب، ستظل للأزهر نورا ورونقا يفوق كل رونق، كلماتك الموشاة بالعبق ستظل فى ذاكرة التاريخ نورا، بلسما للروح، جنة فيحاء تبعث الدفء، صلاة وصوم تقينا من وحشة الظلماء، تفيض بالبشرى، بالحب تروى الأفئدة.

هكذا تخيلت مادار بخلد الإمام قبل أن يلتقي قداسة البابا «فرنسيس الثانى» بابا الفاتيكان فى زيارته الأولى لدرّة الشرق، وعندما بدأت أستمع لكلمة الطيب فى المؤتمر العالمى للسلام المنعقد بالأزهر الشريف، تلمست خدّى فإذا الدموع تسيل رغماً عنى، دموع أجابت عن سؤالى لماذا أُحبُ الطيب؟

ليس الطيب نجماً فحسب، بل هو ألوانٌ من الفرح، بستانٌ، نهرٌ، عمرٌ، كلُ حرفٍ منه تهليل، مكانته بين الجوانح وتألفُ صورته العيون، يشرق تاريخاً من الجمال والروعة حين يتكلمُ بصوت الرضا واليقين.

ولأنه شمسٌ يضفي فرحاً وسلاماً على كل الجموع، اجتمعت

على محبته كلُ القلوب، ينشـرُ الخصـب والعطـر، ويـزرعُ الـدفء السخيّ بنفحات النسيم، وابتسامات لاتخطئها العيون، اسم جهيـرٌ منقوشٌ فى القلوب بالماس والعقيق واللؤلؤ والياقوت.

ورود وأزهـار، ونيـل خـطّ ملامـح وجهـه البشـوش، تعرفـه العصافير حين تحط على الأفنان، ترّنم للقنديل والقربان فى غبطـة، فتسترسل بلحن فريد.

اختزلنا فيه الديار والـوطن العظـيم، فصـار الأمـان للمـدائن والحقول، شلال عطاء ملأ الكون عمقا وثراء، ولمصر ميناء نجاة، ينساب نهر المحبة من نبعه العذب، قاموس المعـانى الحـرة وهـو يداوى الأسقام عندما تطوقنا البراكين.

فضيلة إمام السلام..

أيها الآتى من فم الوجود ياحلمنا الندى، يالك من وداعة وجمال وربيع، ياموطن الأشجار وكرمة العنب... كلماتك كالدر النفيس

قال إنه لا أمل للسفينة أن تعود آمنة إلا بالمحبة، فالحب أصـل والتسامح منهج، ولمصر فى كل القلوب ولاء.

سوف تشرق الشمس فى المغيب، جنـة تـراود النـوارس وكـل الطيور، ويظل عطاؤه فينا الملاذ يجمعنا فى زمان الشتات، ونجمـاً

يقينا الهجير نلوذ بـه فى الأمسـيات، وعالمـا هـو العنـوان للغـرس الأصيل، الفرح والعمر الجميل، علم ونشيد، يزهو به التاريخ بشائر فجر وسلام، يشع الضوء من نبعه المعطاء، فلانحيا بلا سقف غرباء.

نرنو اليه فى البكور وفى المساء، يجتاحنا الشوق فنرويه بـأحلام اللقاء، كى يفتح لنا فى رحاب الحياة معابر نور، وأنسام حب، وأنهار خصب، وشمسا وزهرا وحلما بحجم الوجود.

يا نور الزمان ...

سنظل نحتار أى الجمل نبني بها حلو الكلام، وهو بـين دوائـر الأحداق، يسافر فى العروق، فى معيته نتوق للخمائـل والعنـدليب، للشدو فى مجلس الشعر والمراعي الخضر، فنهتـدى بـه ولا نضـل الطريق، أنعم بوجوده فى كلماتى وأنا أبنى القصيد، أدعو الله أن يزيد الناس حبا فى شخصه الكريم

جاء الإمام يحمل الفجر نديا، وأزهار الغيث على الضفاف تمحو السراب والاغتراب فى النفوس فتطيب الجروح، وتعود الشمس إلى البزوغ.

بالإيمان يطرح الأمل والرجاء، بنفحات النسيم، كسرب الحمام المضئ فى البكور يعلو نحو آفاق السماء، ليلاقى النجمات الحبيبات

المضيئات فى السماء

هو شلال عطاء بعذب الإحساس ينهمر، يالروعة محيّاه السنىّ، لو بقيت دهرا أسطر الشعر حلوا شيق النغم، ما استطعت الوصـول إلى قدره لأن مركزه فى محور النجوم، ملأ حياتنا بهجة وروعة تنتشى من شيّق النغم.. إنى أتيته بالقوافى شـعرا مـن القلـب يعـلى شـامخ الهمم، جزاه خيرا رب الجود والكرم.



فى رحاب
جزيرة السلام

أنا العائدة لتوي من موطن الأصداف والنخيل، الأمان فى جزيرة المرجان واللؤلؤ فإليها أعـود، تـذكرت أثنـاء وجـودى فى «طيبـة» الأقصر أنني قلت:

يا طيب.. جئت وأنا لا أعلم عن أمر وجودك فى البيت العريـق، جئت لهالة القمر، للأماني الحبيبات، فيغمرني نفح النعيم، وأنا على يقين بأنني سوف أصوغ ملحمة عن الطيبين.

فما كان من فضيلته إلا الابتسام، هكـذا يكـون أبنـاء الأصـول المتواضعين، عهدتك ياطيب تدين كل ماهو ضد الدين.

عهدتك على هدى الرسول الكريم تسـير، مرهـف الحـس، أبـا حنونا، لا تقبل الضيم على شركاء الوطن وإذا داهـم مصـرنا خطـر لايبقى ولا يذر، تنشد الخصب والصدق، لا تبصر فرقا بين الناس، الكل لآدم من حواء

أعود إليك..

إلى مهد الجمال وفى جناحيّ آثار من اللهب، على أعتابك أُلقـى بالهموم فتلتئم الجروح. أعود بجلبابين وشال يـدفئنى مـن البـرد، أبغى كوخاً فى البستان، مقعد وطاولة، ريشة ومحبرة سلة من عنـب وتفاح، لا للشموع، لا للقناديل فالبدر رفيق، حلو الكلام من أهـل

جزيرة السلام شذى عطر يعلو مئذنة.

أعود لجزيرة أنقى من الماس، وبيت أبهى بالخلق النبيل، لأقول هنا الحب العظيم، هنا الفكر الموشى بالذهب، شذى الكوثر، حفظ الله مصرنا، حفظ الله بيوته من الدرب المظلم، تفديك العيون يا أطيب الطيبين.

الشاعرة فى سطور

- الاسم : مريم توفيق
- عضو اتحاد الكتاب.
- عضو جمعية الأدباء.
- عضو نادى القصة.
- عضو المنتدى الثقافى المصرى.
- عضو جمعية الكاتبات.
- عضو أتيليه القاهرة.
- عضو رابطة التربية الحديثة.

صدر لها :

عزف على أوتار العشق	شعر فصحى
أزهار الخريف	شعر فصحى
قوس قزح	حوارت صحفية

حلم بالخضرة	شعر عامية
الثورة والزمن المسروق	نصوص أدبية
مصر إلى أين ؟	نصوص أدبية
وبكت الأشجار	مجموعة قصصية
إتولدنا	شعر عامية
قنديل وقربان	نصوص أدبية
طريق السماء	نصوص أدبية
بين الكلمات	نصوص أدبية
عشق مختلف جدا	نصوص أدبية

الفهرس

